مجلة شهرية

نـــور يسوع المسيح ابن الله المخلص
ΧΡΙΣΤΟΥ
Φ Ω Σ

عدد: 45 :Issue No
أيّار May 2011

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

المسيح حكمة اللّه وكلمته وقوّته

كنيسة أيّا صوفيا - حكمة الله - القسطنطينيّة

محتويات العدد

2	الضلع المفقود
3	كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث
4	فخر الجنس البشري
5	وكان عرسٌ قانا الجليل
9	تفسير القدّاس الإلهيّ
10	الملائكة والشياطين
12	آباء الكنيسة والعهد القديم
15	رموز العذراء خيمة الإجتماع
16	مدخل إلى المزامير للقديس أثنسيوس الكبير
18	حكمة الله
20	فإذا الكلّ باطل وقبض الريح
21	الشَّرف
22	خطرات أفكار
23	العهد القديم . (٢٩)

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي (الحي الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة

حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

الضلع المفقود

« حواء ضلع آدم »

وُجدَ لوح خشبيّ منقوشٌ عليه صورة (آدم وحوّاء) ومكتوبٌ عليه هذه العبارة:

«إنّ ما يفقده الإنسان يتطلّع إليه ويلتهف عليه»

وتشير هذه العبارة إلى أنّ حواء قد خُلِقَت من جَنب آدم فهي **ضلعه المفقود منه** ، لذلك يشتاق إليها لأنّها أُخِذَت منه ويتطلّع إليها ويلتهف عليها.

نعم

إنّ كل شاب يبحث عن ضلعه المفقود. ولابدّ لكل شاب أو فتاة أن يصل إلى النُضج ليختار شريك العمر الذي يناسبه.

ولابدّ أن يتنازل عن بعض مواصفاته وآماله التي كان يظن أنّها يجب أن تتوفر كلّها في هذا الشريك ، ولكن طالما كان هناك إصرار على قَوْلَبَة شريك أو شريكة الحياة داخل قالب من صنعه لا يخرج عنه ... فبالتالي سيحدث كثيراً صراع ومشكلات وتعارُض مع شريك الحياة بعد الزواج لأنّه كائن حيّ وليس جماداً.

فطالما أعجبت بصفات جميلة في شريك حياتك فلا داعي لأن تخلق صفات أخرى تعجبك **فتصطدم** بهذا الشريك. لأنّه ليس تمثالاً قابلاً للتشكيل ، فشعار الزواج الناجح هو:

« أقبلك كما أنت الآن ومستعد أن أقبلك بالحالة التي ستكون عليها على مرّ الأيام »

وهناك فرق بين لفظ (إختلاف) ولفظ (خلاف) فلابدّ أن يكون هناك (إختلاف) بين أيّ زوجين فلكل منهما طبيعة تختلف عن الآخر.

ولكن في الزواج توجد معادلة ذهبيّة تقول:

إختلاف + حبّ = توافق

إختلاف + أنانيّة = خلاف

إنّ أي مشكلة تنشأ في حياة الزوجين سببها هو أن كلّ طرف يتعامل مع المشكلة بطريقته ووجهة نظره الخاصّة.

فترى الزوجة أنّ زوجها ﴿هوايته خَلق المشكلات﴾ ويرى الزوج أنّ زوجته ﴿ هوايتها تعقيد الأمور وتصنع من الحبّة قبّة ﴾.

عزيزتي الزوجة

خصّصي وقتاً واهتماماً أكبر لشريك حياتك واجعليه يشعر بحبّك ووقوفك بجانبه وبأنّك سَنَده وحبّه الأبقى.

تجنّبي السخرية أو التهكّم على مشاعره أو شخصيّته ومهاجمته باستمرار حتى لا يشعر بأنّه شخص غير مرغوب فيه.

لذلك يحتاج الأمر إلى مراجعة وتقويم وتلطيف حتى يصبح **الزواج المبارك من اللّه نبع حبّ دائم ومتجدّد ... فينتصر الرجاء على الفشل والفرح على الحزن والسلام على الإضطراب والحياة على الموت.**

ندرك أهميّة وجود المحبّة الزوجيّة في إجابة القديس يوحنا الذهبيّ الفم لرجل سأله عن سبب خلافه المستمرّ مع زوجته ، فيقول:

إرجع إلى بيتك وأحبّ زوجتك.

فأجاب الرجل: يا أبانا إنّها لا تحبّني.

قال الذهبيّ الفم ثانية: **إرجع إلى بيتك وأحبّ زوجتك.**

فما هو الحبّ

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
بمناسبة عيد بشارة والدة الإله في مدينة الناصرة

«اليوم بدَت بشائر الفرح. اليوم أقبل موسم العذراء فتتّحد السفليّات بالعلويّات. ويتجدّد آدم. وتَنْعَتق حواء من الحزن القديم. فإنّ الخباء الذي من جوهر طبيعَتنا صار هيكلاً للّه بتأليه العجنة التي أُخذَت منهُ. فيا للسرّ العظيم. إنَّ طريقة الإخلاَء لا تُعرَف. وكذلك طريقة الحَبَل لا تُدرَك. أنَّ ملاكاً يخدم المعجزة. والبطن البتولي يقبل الإبن. والروح القدس يُرسَل. والآب من العلاء يرتضي. والمصالحة تتمُّ عن إرادة عامَّة. ولمّا كنَّا نحن قد خَلُصنا بها وفيها. فلنهتفنَّ مع جبرائيل نحو العذراء قائلين: إفرحي يا ممتلئةً نعمةً. الربُّ معك. يا مَن إتَّخَذَ المسيح إلهنا طبيعتنا منها فاستردَّها إليه. فتضرَّعي طالبةً أن يخلّص نفوسنا» (ذكصا كاذين – من نظم أندراوس الأورشليمي).

أيّها الأخوة الأحباء بالمسيح يسوع
أيها المسيحيون الأتقياء

بهذا الكلام تكرّمّ كنيسة المسيح المقدّسة ، وبفم القديس أندراوس الأورشليميّ ـ العسجديّ اللسان ذي البوق اللاهوتي ، بترانيمه الأخّاذة وتسابيحه الروحيّة ـ الفائقة القداسة بين البشر جمعاء ، إبنة الناصرة مريم العذراء ، والتي منها وفيها تمّ بدء خلاصنا بإشتراكها في هذا السرّ غير المعلن منذ الدهور.

يتمحور هذا السرّ في التدبير الإلهي بالمسيح ، وكذلك في شخص العذراء ، ودورها الخلاصي ، كما يوضحه مرنم الكنيسة:

«لقد إنحدَرَ كلمة اللّه الآن إلى الأرض. وحَضَرَ الملاك إلى العذراء يقول لها: إفرحي يا مباركة. يا من تفرَّدت بحفظ الختم. وقد قَبلَت في حشاها الربَّ الكلمة الذي قبل الدهور. متجسّداً لكي يخلّص جنس البشر بقوّة لاهوته من الضلالة» (كاثسما اللحن الثامن – سحريّة البشارة).

إنّ اللّه في محبته غير المدركة ومن نبع صلاحه الفيّاض ، صنعَ الإنسانَ بيديه على صورته كمثاله.

لكن الأنسان سقَط بإرادته بغواية الشيطان وحسد إبليس ، فنُفي إثْرَ ذلكَ من فردوس النعيم ، وأُبعد عن الصلاح الإلهيّ .

نتيجة لهذا السقوط سلَكَ الإنسانُ من خلال مشورته الذاتيّة ، متمحوراً حول ذاته، فبات يرى مكنونات العالمَ وعلاقَته بها من منظاره الشخصي ، رافضاً كل الرفض الطاعةَ والإنصياعَ إلى مشيئة اللّه الضابط الكلّ الصانع والمبدع

الإنسانَ والمعْتَني به ؛ الأمـر الذي حـذا به إلى حالة من الضياع والإرتباك لفقدانه الحقيقةَ في معرفة اللّه من خلال روح المسيح أي الروحَ القدس ، هذه المعرفة الضروريّة والأساسيّة لتحرير الإنسان من أفكار الضلال المتشبثة في فكره ، والتي جعلته يعبد المخلوقَ دون الخالق، فكثرت من جراءها عبادة الأصنام في العالم كلّه.

«إنّ اللّهَ الخالقَ المُبدعَ ، بولوج روحه القدّوس لأحشاء البريئة من كل عيب ، يُبدعُ الجمالَ الأصليَّ ـ مثلَ ختمَ طبيعته ، وعلى صورته كخالَق ـ متمّماً إيّاهُ ومن خلال نَفَس الحياة هذَا ، أي الروح القدَس الساكنة فيه».

هذا هو بالتدقيق الختم لطبيعة الخالق الإلهيّة ، أي الروح القدس الذي حافظ على العذراء الدائمة البتوليّة وظلّلها فأصبحَت أكرمَ من الشيروبيم ، وأرفعَ مجداً بغير قياسٍ من السيرافيم.

إن العذراء والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم الفائقة القداسة ، تُعتَبَرُ بحقٍّ، **العظيمة والأكثر عَجَباً** لهذا السرّ الخاص للبشريّة قاطبةً في جميع أرجاء العالم. ذلك لأنّ مريم إبنة الناصرة هي الشخص الوحيد في التاريخ كلّه وبدون أدنى شكٍّ ؛ فهي تشارك بطريقة غير مدركة في سرّ إفراغ اللّه الآب لذاته. **بشكل مماثل** ، وبطريقةٍ غير معبّر عنها في حَملها لكلمة اللّه في إحشائها.

وكما يذكر لنا القديسُ يوحنا الدمشقي كيف تمّ التجسّدُ على أثر التبشير: «إذاً بعد أن قَبلت العذراء القديسة ، حَلَّ الروح القدس عليها ، على حسب كلام الرَبّ الذي قاله الملاك. فطهّرها ومنحها أيضاً قـوّة إستيـعاب لاهـوت الكلمـة مـع ولادتـه.

وللحال. ظلّلتها حكمة اللّه العليّ وقوّته ، إبن اللّه المساوي للآب في الجوهر بمثابة زرع إلهيّ ، فاستخلص لذاته من دمائها النقيّة الجزيلة الطهارة جسداً حيّاً ، **نَفْسُـهُ ناطقة عاقلة** ، هو بكر عَجنتنا ، ليس مزروعاً بل معمولاً بفعل الروح القدس» .

هكذا بحلول الروح القدس على العذراء مريم ، فإنّ الطبيعة البشريّة يتم **جَبْلُها** حسب جمالها الأصليّ القديم. وحسب الإرادة الحرّة .. «قالت مريم: هوذا أنا أَمَةُ الربّ . ليكن لي كقولكَ» (لوقا ١:٣٨).

الجمال القديم الأصلي: ليس إلاّ البهاءُ المصنوعُ قديماً ، الذي أضاعه آدم القديم ، وكما يقول **المرنّم القديس أندراوس الأورشليمي** : «تَوَشَّحَ آدم سربال الخزي كورقة التين توبيخاً للآلام ذات السلطة الذاتيّة».

في شركة البهاء الأوّل الإلهيّ هذا ، أراد اللّهُ إعادةَ الإنسان الساقط وتجديدَهُ ، كما يذكر بولس الحكيم: «أرسل اللّهُ إبنه مولوداً من إمرأة ... لننال التبنّي» (غلاطية ٤:٤-٥).

إنّ القديس يوسف المرنّم وكاتب التسابيح ، يُنشد إلى العذراء مريم ويقول: «إنّ الإله كلمة اللّه لمّا شاء أن يؤلّه الإنسان ، تجسّد منك يا نقيّة وشوهدَ بشراً. فتوسّلي إليه بغير فتور أن نصادف رحمَة في أوان الأعتذار».

إنّ التألّـه ، أو خلاص الإنسان ، لا يُدرَك ولا يتحقّق بدون تجسّد كلمة اللّه ، تماماً كما يعلن **القديس يوحنا اللاهوتي**: «والكلمة صارَ جسداً وحلَّ بيننا» (يو١:١٤). لكن التألّه ، أو خلاص الإنسان **لهو** أكثر إعجازاً ، وأصعب إدراكاً بدون العذراء والدة الإله مريم. لأنّه في شخص العذراء تقوّضَت واندثرت أفكارُ الضلال حولَ اللّه ، بما فيها جميع الأفكار الفلسفيّة والأيديولوجيّة ، وبطريقة أوضَح: كل الأفكار الميتافيزيقيّة. الأمر الذي حذا ببطريرك المدينة المقدسة أورشليم القديس صفرونيوس أن يُناجي العذراء بتهليلٍ قائلاً:

إفرحي يا من أظهرت الفلاسفة عادمي الحكمة.
إفرحي يا مَن أوضحتَ مُعلّمي الكلام ، لا كلام لهم.
إفرحي لأنّ الأشداء في المحاورات بك حَصلوا حَمقى.
إفرحي لأنّ بك ذَبُلَ مُخترعوا الخرافات.
إفرحي لأنّك مزّقت حبائك الأثينائيين – (الفلاسفة) .
إفرحي لأنّك أفعمتَ شباك الصيّادين – (الرُسل).

أيها الأخوة الأحباء:

في هذا اليوم ، الذي نحتفل فيه بعيد بشارة العذراء مريم ،أصبحنا شركاء في هذه الأخبار المبهجة الإلهيّة ، وفي إفخارستية جسدك أيها المسيح ، هذا الجسد الكريم الذي مَنحْتَه لنا لتُعيد به جبلتنا، ودمك الطاهر الذي به ترحضنا ، لذلك وبفرح عظيم نصرخ قائلين: إفرحي يا عذراء مريم الممتلئة نعمة ،الربّ معك مباركة أنت بين النساء ، ومباركٌ ثمر بطنك لأنّك ولدت لنا مخلّص نفوسنا».

كل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

فخر الجنس البشري

إنّ مريم العذراء هي فخر الجنس البشري إستطاعت أن تردّ للمرأة كرامتها ولحوّاء الأولى قدسيّتها، فهي:

﴿**«الممتلئة نعمة»** ، **جبل الخلاص** الذي رآه دانيال وقد قطع منه حجر بغير يد إنسان ، **الجبل الدسم** الذي ذكر داود أنّه مسكن الإله الديّان ، **كنز النعمة** ، **القبة الحقيقيّة** المشتملة على رئيس أحبار الخيرات ، **السماء الجديدة** المُشرق منها **شمس البرّ** ، **المنارة الحاملة مصباح الحياة** ، **المجمرة الذهب** التي حَملت جمر نار اللاهوت ، **الحمامة النقيّة** التي بشّرت العالم بانكشاف أرض الغفران ، **عصا هارون** التي أفرخَت ، **العليقة** التي رآها موسى في البريّة ، **تابوت العهد** المغشّى بالذهب الخالص وفيه **المنّ السماوي** ، **الكرمة الحقيقيّة الحاملة عنقود الحياة**﴾.

لذا تغنّى فيها الشعراء والحكماء فقالوا:

جبريل أضحى من بهائك خاشعا ... متـهيّـبـاً إذ عـلاه حـيـاء
فيكِ الصفاء وأنتِ أعذب مورِدٍ ... سُبحـان مَـن سـوّاكِ يـا عـذراء

وكان عرس في قانا الجليل

للقديس
أبيفانوس (١)

قانا الجليل تبعد ستة أميال شمال شرق الناصرة، أي على بُعد ساعتين مشياً على الأقدام. العذراء مريم سبقت المسيح وتلاميذه كعادة تواجد النساء معاً منذ بداية العُرس (مدته٧ أيام)، والمسيح يحضر في الوقت المناسب دائماً (بعد فراغ الخمر)، مع تلاميذه الذين لم يكتمل عددهم إذ لم يكن قد مضى سوى ثلاثة أيام على دعوة نثنائيل، وفيلبس قبله بقليل، وأربعة أيام على دعوة أندراوس وبطرس، أما يوحنا فلم يتجاوز الأسبوع منذ أن انتقل من مرافقة يوحنا المعمدان إلى مرافقة يسوع. إذن، فلم يتجاوز عدد التلاميذ يوم عُرس قانا الجليل عدد أصابع اليد الواحدة.

تأتي هذه المعجزة كبداية آيات وبداية خدمة المسيح، بعد معموديته، كما تأتي كأول مقابل لخدمة يوحنا المعمدان، لأنها تعطي أوضح صورة للمسيح «**ابن الإنسان**»: هذا بالماء والنسك والامتناع الكلّي عن الخمر وحياة البراري، وهذا بعرس قانا الجليل وبتحويل الماء إلى خمر، حيث التنبيه الذي تستحدثه المعجزة هنا يتركّز في الدعوة إلى الانتقال من الماء – رأسمال يوحنا المعمدان – كقوّة للتطهير وللتغيير بالتوبة والسلوك، إلى المسيح نفسه كقوّة فائقة عُظمى للتغيير في صميم الطبيعة وبالتالي في سلوكها!! فالمسيح هنا إذ يُخضع الماء ويحوِّله إلى ما ليس ماءً بسلطان كلمته، ينبِّه بشدّة إلى أن القوة التي يتوق إليها الإنسان للتغيير والتوبة والفرح والعزاء كائنة أصلاً في المسيح وفي كلمته!! كما أن المعجزة تشير كذلك إشارة خفية مُبدعة إلى أن الخمر، بحضرة المسيح، لم يعد هو مصدر الانتعاش والانتقال من الكآبة والهم إلى الفرح والتهليل، إذ يوجد الآن مَنْ هو أقوى فعلاً وأثراً من الخمر ألا وهو المسيح الذي يخلق طبيعة الخمر ذاتها خلقاً!! وبالتالي كل ما في الخمر من قوّة، وأكثر!! «(حُبَّك) حبيبي أطيب من الخمر»!! (نشيد الأنشاد ١:٢)،التركيز إذن في هذه المعجزة ينصبُّ في كلمة واحدة: المسيح كمصدر «**التحوُّل**». المسيح ينبِّهنا في بداية آياته وبداية خدمته أنه جاء ليكون هو وحده «**مصدر التحوُّل**» في حياة الإنسان ؛ إذن لا بالنسك ولا بالبراري يكمن سرّ التغيير، ولا بالتطهيرات بالماء أو بالدعاء، ولا في إيليا ولا يوحنا ولا بالأنبياء ولكن في المسيح يتم تحوُّل الإنسان، كما تحوَّل الماء سراً وبدون أي صلاة أو دعاء أو أي حركة ما، إلى ما ليس ماءً ، إلى خمر جديد جيِّد، هذا الذي كان يتوهَّم الإنسان أن فيه راحته.

معنى العُرس في التقليد العبري:

مراسيم العُرس في التقليد العبري الأصيل وما يلازمه من احتفالات، تحمل معاني أعمق بكثير من كونه «**فرحاً**» أو حفلة أو مناسبة إجتماعية للسرور والمجاملات. والذي ننقله إلى القارئ من تقليد العُرس العبري في أيام المسيح هو من التلمود وكتب اليهود

الطقسية القديمة كما يقدِّمها لنا أحد الحاخامات المتنصِّرين (٢).

وخلاصة القول أن العُرس كان يُعتبر نقطة حاسمة في حياة الشاب والشابة، يصوم كلاهما قبل التقدُّم إليه ويعترف كل منهما بخطاياه. فالزواج كان يُقدَّر في التقليد العبري على كونه بمثابة «**سرّ**»، حتى أنه بمجرَّد تتميم عقد الزواج يحدث غفران تلقائي لكل خطايا الإنسان السالفة. ويعطينا سفر التكوين صورة واقعيّة بهذا المعنى، فامرأة عيسو التي كان اسمها قبل الزواج «بسمة» ونُطقها العبري الصحيح «باسيمات» (تك٣٦:٣)، صار اسمها بعد الزواج «محلة» ونُطقها العبري الصحيح «ماحلات» (تك٢٨:٩)، ومعناها «**محالة الخطايا**» أو «**مغفورة الخطايا**».وكان المعروف أن العلاقة التي تربط العريس بالعروس هي على نمط ما هو قائم بين يهوه وشعبه ككل!! وهذا يردِّده الكتاب المقدَّس مراراً وتكراراً حتى صار من صميم تعاليم الربِّيين. وهكذا كان ارتباط العريس بالعروس يوم القِرَان – في مفهوم الشعب – يقوم على أساس إرتباط اللّه بإسرائيل. لذلك كان الاهتمام الشديد لحضور أي حفلة عُرس بالنسبة للشعب وقادته ينبع من مفهوم الشركة في تعميق سرّ إرتباط اللّه مع شعبه وتكريم قيام وثبوت وعود اللّه الخاصة بازدهار الأُمة! بهذا المعنى كانت حفلة العرس يُعتنى بتنسيقها إلاّ إذا كان الزوجان فقيرين، لأن ذلك يُحسب تكريماً للعلاقة التي تربط اللّه بالمجمع وبالشعب!! وبالتالي كانت مراسيم الزواج المفعمة بالخشوع والتقوى والإحساس الديني تتخلَّل حفلة العرس ذاتها من أول لحظة إلى آخرها كحفلة مقدَّسةحيث يكون السرور والفرح والرقص والتصفيق باليدين وشرب الخمر، بعد الصلاة جداً، وبتوفير مصادر الفرح لها من قِبَل الأغنياء ورجال المجمع، بالبركة عليه(٣).كل هذا، على المستوى الديني، لا تشوبه أي شائبة

إنحلالية ، بل كأعمال مقدَّسة تكريماً للرب «**يهوه**». بل إن مجرَّد الخطوبة التي تسبق الزواج كانت تسمَّى بالعبرية «**عروسين قدوشين**»، أي دخول العروسين في القداسة!! وحين كان يقف أحد المسئولين أو الكهنة ليعدِّد أوصاف وفضائل وجمال العروس كان هذا يُحسب ضمن الطقوس المقدَّسة!! كل هذا يجعل حضور المسيح حفلة عُرس لعريسين فقيرين «ليس لهم خمر»، أمراً طبيعياً يدخل في صميم رسالته كعريس حقيقي لكل نفس ، خاصة وأنه أول عمل يأتيه مدعَّماً بآية. فإن كان حضور العُرس محسوباً أنه خدمة دينية وواجب لكل إسرائيلي ولكل ذي غيرة، فإنه بالنسبة للمسيح هو بمثابة تقييم جديد لمعنى العُرس في العهد الجديد. إذ بحضوره تمَّ حضور اللّه. وهكذا أصبح الزواج المسيحي مدموغاً منذ عرس قانا حتى اليوم بطابع «**السرّ الإلهي**»، حيث مفهوم سرّ الزيجة ينحصر في معنى «**حضور المسيح**»، لجعل رباط الزيجة قائماً ودائماً بين ثلاثة وليس بين اثنين «فالذي جَمَعَهُ الله لا يُفرِّقه إنسان» (مت١٩:٦) !! حيث المسيح في كل زيجة هو مقيم الوعد وضَمين العهد بين الزوجين، لتحويل الحياة من مستواها الزمني العادي إلى مستواها الخالد والأبدي، بسر حضور اللّه (على مستوى تحويل الماء إلى خمر)!وعندما قصد المسيح أن تكون بداية خدمته واستعلان مجده من داخل عُرس، لم يكن إلا مشيراً بإصبع المناسبة والآية إلى نهاية خدمته، حينما يستدعينا جميعاً إلى عُرسه الخصوصي لحضور «عشاء عُرس الخروف» (رؤ١٩:٩)، حيث نكون نحن موضوع هذا العُرس، وموضعنا موضع العروس!! «لأني خطبتكم لرجُل واحد لأقدِّم عذراء عفيفة للمسيح.» (٢كو١١:٢) ، إذن فآية عُرس قانا الجليل تعود أيضاً ومن طرف خفي لتنبهنا إلى مكانة المسيح الحقيقية سواء في «**قانا**» أو في حياتنا، فهو العريس الحقيقي أينما حضر، ونحن معه دوماً أينما كان وأينما كُنَّا كعروس تتبع دائماً عريسها، إذن فعُرس قانا هو عُرسنا، والعريس فيه هو عريسنا، والعروس فيه هي نفسنا ...آه يا نفسي متى تدركين موقعك من المذود والأردن، ومن قانا والصليب، والقبر والسماء؟

المعجزة:

لقد قصدت العذراء أن تعلن إبنها للعالم بصفته المسيَّا، وكانت تستعجل مجده لأنها كانت تعلم ذلك بيقين، وتتحيَّن الفرصة باشتياق بالغ الشدَّة لكي تُشرك كل إسرائيل فيما أدركته وتحقَّقته من سرّ مجد المسيح رجاء الدهور كلها ...ولكن لم تكن العذراء الطيبة تُدرك أن بدء استعلان المسيح هوَ هوَ بدء ظهور شبح الصليب، ويوم الإعلان عن حقيقته ومجده هوَ هوَ بدء العد التنازلي لأسبوع الآلام!! «ما لي ولك يا امرأة لم تأت ساعتي بعد!» (يو٢:٤). وما كان ألزم للعذراء جدًّا في نظر المسيح أن تبتعد عن سكة الصليب! وما كان أحوجها جدًّا في نظره أن لا تكون هي نفسها سبباً معجِّلاً للسيف الذي سيجوز في نفسها عندما تراه معلقاً على الصليب!ولكن من أجل إيمانها وثقتها المطلقة فيه ومن أجل تقديره الخاص لها، لم يردّها عن سؤالها. وبعد عتاب قصير ومختصر إستجاب لها، فكان بداية مجده وبداية آلامه معاً وعلى حد سواء!! ولكي نرفع الغموض الذي يحيط بمخاطبة الرب للعذراء قائلاً لها: «**يا امرأة**»، ينبغي أن ندرك أن المسيح يتكلَّم هنا من موقع الألوهة فهو على وشك إتيان معجزة خلق فائق الطبيعة، فهنا إبن اللّه يخاطب أُمّاً بشرية!! وفي هذا الأسلوب يشير المسيح إشارة بليغة للعذراء أنه قد دخل في مجاله الإلهي لبدء خدمته العليا التي لا تحتمل بأي حال من الأحوال مشورة إمرأة أو أي بشر، لقد قال لها مرَّة وهو إبن إثنتي عشرة سنة «ينبغي أن أكون فيما لأبي» (لو٢:٤٩)، أما هنا فقد دخل، وإلى الأبد، في علاقته السرّية مع الآب، حيث ليست مشورة إلا من الآب فقط!!كذلك لا نستطيع أن نعبّر بسهولة على طريقة العذراء القديسة في عرضها لسؤالها «ليس لهم خمر» (يو٢:٣). فهنا سؤال هو هو الصلاة بعينها، ولعلها أقصر صلاة وردت في الكتاب المقدَّس كله وأكثرها وثوقاً وتأكيداً وأمانة. ليت صلاتنا تكون هكذا مختصرة أشد الاختصار، واثقة أشد الوثوق، لا تزيد عن عرض واقعي لما هو حادث «ليس لهم خمر»! وبالرغم من ردّ المسيح الذي يكاد أن يحمل عدم الإستجابة أو على الأقل إستنكاراً لسؤالها، إلاّ أن العذراء القديسة كانت تدرك أعماق المسيح الوديع، فلم يهتز يقينها من جهة إستجابته لأعواز الناس، هذا ما تحقَّقت منه العذراء تماماً مدَّة ثلاثين سنة معه «مهما قال لكم فافعلوه» (يو٢:٥). وهنا ينكشف مدى قناعة العذراء في إستطاعة المسيح اللانهائية، ويكشف مدى إدراكها لسرّ المسيح في استعداده المطلق للاستجابة !!

إفتحي لنا باب التحنّن يا والدة الإله المباركة. فلا نخيبنّ باتكالنا عليك بل لننجوَنَّ من التجارب. لأنّك خلاص جنس المسيحيين

ماء التطهير:

الماء هنا للتطهير بغسل الأيدي والكؤوس والأباريق والصحائف النحاسية، ستة أجران، وليس سبعة، إشارة إلى أن استهلاكها يمتد على مدى ستَّة أيام الأسبوع فقط، أما السابع – السبت – فهو راحة، ولا يحتمل إجراءات التطهير، والجرن الواحد الحجري يسع من صفيحتين إلى ثلاثة، إذن فهي مساوية حجماً للأزيار الصغيرة المُستخدَمة الآن.المسيح يجد في ماء التطهير مصدراً حسناً لإجراء المعجزة، لكي يوقف معنى التطهير الشكلي، فالماء تحوَّل كله إلى خمر. لقد انتهى الماء من الأجران، وبالتالي انتهى عصر التطهير بالماء في حياة الإنسان. الخمر في أجران وليمة العُرس هنا إشارة سريَّة تمتُّ بصلة وثيقة إلى خمر ليلة العشاء الأخير المقدَّم بوصفه الدم المزمع أن يسفكه على الصليب للتطهير الحقيقي بمغفرة الخطايا. تحول ماء التطهير إلى خمر هنا هو عملية تمهيدية، أكملها المسيح ليلة العشاء بتحويل الخمر إلى دم حقيقي لمغفرة الخطايا. إذن فالمسيح بتحويله ماء التطهير كله إلى خمر، كان يشير في الحقيقة إلى نفسه كمصدر حقيقي للتطهير «بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي» (عب١:٣). كذلك فإن عملية تحويل الماء إلى خمر كأول عمل يأتيه المسيح بمعجزة في بداية خدمته الخلاصية، كانت عملية تنبيه عميقة لأذهان المترجِّين لخلاص إسرائيل، فهنا عصر موسى من جديد، عصر الخلاص، موسى الذي حوَّل الماء في أنهار مصر إلى دم، وفي بداية خدمته أيضاً، لإظهار قوة اللّه ومجده على يديه، لعل شعبه يؤمن به ويستجيب لعمل الخلاص المزمع أن يقودهم فيه لذلك يشير إنجيل يوحنا إلى ذلك خفيًّا عند قوله: «وأظهر مجده فآمن به تلاميذه.» (يو٢:١١) ، وينبغي هنا أن نلفت نظر الباحث إلى أن يوحنا الحبيب وحده هو الذي سجَّل لنا هذه الحادثة في إنجيله، والعلَّة في ذلك ظاهرة لأن التلاميذ لم يكن عددهم قد تكامل بعد عند إجراء هذه المعجزة، فالذي حضرها على وجه التحقيق خمسة تلاميذ كان أولهم يوحنا. ومعلوم أن يوحنا الرسول فوق أنه كان شاهد عيان لهذه المعجزة، فهو الوحيد أيضاً الذي اطَّلع على دقائق الحوار الذي حدث بين المسيح والعذراء سرًّا، وذلك بسبب تواجد العذراء معه وفي بيته مدَّة طويلة بعد الصليب، وهي التي أخبرته بكل الأمور. كذلك ينبغي للقارئ أن يكون على بيِّنة من الأسلوب السرِّي العجيب الذي يكتب به يوحنا الرسول إنجيله، فهو يطرح الحديث والقصة والمعجزة ببساطة متناهية، ولكن مقاصده عميقة وأهدافه جليلة للغاية. وهنا في قصة عُرس قانا الجليل إشارتان خطيرتان تهدف إليهما القصة من أولها لآخرها:

الإشارة الأولى تختص بالمسيح العريس أو «**الختن**» الحقيقي معلَناً من خلال «**وليمة المسيَّا**».

والإشارة الثانية «**الخمر الجيد**» الإفخارستيا، وسر الكنيسة، ومحور الخلاص، والفداء.

الكنيسة إنتبهت منذ البدء للخلفية السريَّة التي تتحرَّك في إطارها قصة عُرس قانا، فربطت الكنيسة في تعاليمها وفي أيقوناتها بين معجزة عُرس قانا الجليل (الخمر فرغ) وبين معجزة الخمس خبزات والسمكتين (الجموع الجائعة)، باعتبارهما التفسير الحي الواقعي الذي قدَّمه الإنجيل لمفهوم الإفخارستيا الروحي والإيماني، حيث يتركَّز في عُرس قانا مفهوم «**التحوُّل**» على أعلى وأوضح مستوى من التفسير. أما في معجزة الخمس خبزات فيتركَّز مفهوم اللامحدودية واللانهائية في سرّ الخبز (الجسد)، حيث الشبع المتولد منه والفائض يفوقان الأصل المنظور والمحسوس بدون قياس. ويلاحظ في المعجزتين أن الحاجة والجوع كانا الدافع لإجراء المعجزة، والإشارة هنا إلى الحالة الداخلية. فالحاجة إلى الخمر إشارة إلى الحاجة إلى الروح القدس للعزاء والسرور ورفع الهموم والغموم، والجوع الشّديد إشارة إلى العوز إلى «**الجسد**» أي الكلمة طعام الحق للحياة الأبدية. المسيح في كلتا الحالتين وقف يسد أعوازنا كمصدر حقيقي للملء والسرور حتى الشبع، وهو لا يرضى أبداً أن يكون فرحنا وملؤنا من السوق، سوق العالم، مهما كان معنا من ألوف الدينارات!! «لا يكفيهم خبز بمئتي دينار.» (يو٦:٧)، كذلك فإن التركيز على تحويل ماء التطهير إلى خمر «**جديدة**» في عُرس قانا لا يجعل العقل يفلت من إدراك قصد المسيح في اختيار عُرس قانا لبدء الإشارة إلى العهد الجديد «لأن الناموس بموسى أُعطي. أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا.» (يو١:١٧) ، وإنجيل يوحنا لا يطرح القصة بدون تمهيد إلهامي مثير للدهشة، إذ يبدأها بقوله: «وفي اليوم الثالث كان عُرس في قانا» (يو٢:١). أما الذهن الروحي النشيط فلا يمكن أن يعبر على هذه اللفتة دون أن يدرك قصد الإنجيل. فاليوم الثالث في بداية هذا الأصحاح لا يعني شيئاً بحسب الحرف، أما عند المسيح والكنيسة كلها بل وبمقتضى نبوَّات العهد القديم فهو يشير إلى القيامة. إذن فقصَّة عُرس قانا بجملتها يضعها الروح بمحاذاة «**مجد القيامة**»، المسيح في إنجيل يوحنا يحقِّق قيامته منذ أول خدمته!! والمسيحيّ كذلك يدخل إلى مجد القيامة مع «**بني العُرس**» بعد سرّ المعمودية مباشرة. والكنيسة، بمقتضى الطقس، تحسب المسيح أنه عريسها لا منذ بدء معموديته، بل منذ أخذ اسمه «**يسوع**» المخلِّص شعبه، وذلك في يوم ختانته حيث الختانة هي التأهيل الطقسي لصلاحية العريس. لذلك فالكنيسة تسمِّي المسيح «**الختن**» الحقيقي، أي العريس الطقسي بالنسبة لها، فالكنيسة هي «إمرأة الخروف» الذي ذُبح المسيح من أجل فدائها وتقديسها وهي الآن تتزيَّن له (رؤ٢١: ٢و٩).فـ «الختن» و«العريس» كلمتان مترادفتان في اللغة الأرامية التي كان يتكلَّم بها المسيح! «حينئذ قالت عريس دم، من أجل الختان» (خر٤:٢٦) .والتشديد في قصة «قانا الجليل» يتركَّز على «العُرس» للإشارة إلى من أي مكان يبدأ المسيح خدمته: من حفلة عرس ليعلن نفسه كمصدر فرح للبشرية، وكإشارة إلى مركزه «كعريس» للبشرية المفدية. يوحنا المعمدان أيضاً يبدأ خدمته بالنسبة للمسيح، بالإشارة إلى المسيح كعريس، وإلى نفسه كصديق للعريس: «كشارب خمر (بالروح)» مع بني العرس، أي كشريك فرح (سمائي) ولكن ليس «كصاحب أو كمصدر الفرح». تحويل الماء إلى **خمر جيد** يشير إلى تحويل أحزان البشرية وعرق تعبها وكدها إلى فرح حقيقي: «مَنْ له العروس فهو العريس.

وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذاً فرحي هذا قد كَمُل.» (يو٣:٢٩) ؛ إذن فعرس قانا الجليل بالنسبة لنا هو حياتنا الجديدة، هو مصدر الفرح الحقيقي والدائم، حيث ينبع فرحنا باستمرار من «صوت العريس» عندما يأمر كل يوم أن يتحوَّل ماؤنا ودموعنا إلى خمر جيد، ليس في أجران متسعة، ولكن في «**كأس**» ، لأن الشبع والملء هما الآن على مستوى السرّ والروح. الكنيسة في كل يوم أحد هي في حفلة عُرس، وكأنها تقيم في قانا الجليل! إنجيل يوحنا يركِّز أيضاً على أن المسيح لا يبدأ المعجزة من فراغ أو من دائرة أبعد أو أرفع أو أقل من عالمنا، فهو لم يخلق الخمر من لا شيء، كما سبق ورفض أن يحوِّل الحجارة إلى خبز. ولكن من صميم مائنا يجري «**التحوُّل**»، ومن صميم خبزنا يُدخل «**البَرَكة**». القصد هنا ينصبُّ على تقييم معنى وأسلوب حياتنا مَع اللّه في العهد الجديد، على أساس عدم نقض أو إلغاء الواقع المادي أو الترفُّع عنه، ولكن تغييره إلى ما هو جديد وحق؛ وعلى عدم إحتقار الموجود والمحدود، بل تكثيره بسر الشكر والبركة إلى ما يفوق العقل والحدود. والمسيح هو في سرّ التحوُّل حتى الملء وفي سر البركة والنعمة حتى الكمال «ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا. ونعمة فوق نعمة» (يو١:١٦)، «فجمعوا وملأوا اثنتي عشرة قفة من الكسر من خمسة أرغفة الشعير التي فضلت عن الآكلين.» (يو٦:١٣)، فماء اليهود الذي للتطهير المحلي والجزئي على مستوى اليد والكأس، حوَّله المسيح لنا إلى خمر الإنجيل، أساس **سرّ الدم والفداء** الذي يطهِّر ضمير العالم كله.وخبز العرق والدموع الذي حمله الصبيان معهم لحاجة رحلتهم القصيرة عبر بحيرة طبرية أخذه المسيح في يديه وغرس فيه البركة، وجعله مصدر شبع وفيض للعالم كله، منذ ذلك اليوم إلى منتهى أجيال الدهور!! «الطعام الباقي للحياة الأبدية.»(يو٦:٢٧)، وعطية المسيح دائماً يبدو جمالها وتبدو جودتها في النهاية بعكس عطية العالم: «كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً ... أما أنت فقط أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن.»(يو٢:١٠)، وليس عبثاً أن يذكر إنجيل يوحنا كيف يبدأ المسيح خدمته في عُرس قانا بحضور أُمه العذراء وينهي خدمته بحضورها أيضاً على الصليب لأنه كان هو بنفسه شريكاً معها في هذا وفي ذاك، فهو تلميذ حضن يسوع أما هي فأُم العريس بالدرجة الأُولى وشريكة في فرحه وآلامه بالضرورة، حيث لا يمكن فصل مجده في فرحه عن مجده في آلامه لأن في هذا يتمجَّد وبذلك يتمجَّد. لأنه في عرس قانا أظهر مجده ، وعلى الصليب أكمل مجده!! في عرس قانا تمجد، وفي أحزان بيت عنيا تمجد!! المسيح إذن هو مجدنا في الفرح والحزن سواءً بسواء! فالمجد يتبع المسيح أينما سار. وأظهر مجده فآمن به تلاميذه:لقد تحيَّر المفسِّرون، وما هو مجده في آية تحويل الماء إلى خمر؟ أهو في المعجزة ذاتها أم في الظروف التي أحاطت بها؟ فإن كانت في المعجزة ذاتها فالذي آمن به هم تلاميذه فقط، إذن فالمعجزة لم تكن بالدرجة الكافية لتبهر غير الأخصـّاء.أما الظروف المحيطة بالمعجزة فهي لا تزيد عن كونها مشاركة اجتماعية مفروضة على ذوي الولاية من القربى أو من رجال الدين. إذن فأين يكمن مظهر المجد الذي استُعلن لتلاميذه من هذه الآية حتى آمنوا به؟ هنا يلزمنا أن

كنيسة القديس جوارجيوس للروم الأرثوذكس
حيث تمّ تحويل الماء إلى خمر في قانا الجليل

ندرك أن أعمال اللّه تحتاج إلى أُذن مفتوحة مهيَّأة للسمع وعين مُبصرة مستعدة للرؤيا ... **أُذن** التلاميذ كانت مفتوحة وعيونهم كانت على أعلى درجة من الترقُّب للرؤيا، لأن علاقتهم بالمسيح لم تكن قد تجاوزت في جملتها أكثر من أسبوع واحد. إذن فالمعلِّم كان تحت الفحص الدقيق والملاحظة الشديدة والترقُّب المستبشر جدًّا والمستعد لإدراك أقل حركة فائقة وترجمة أي عمل خارق، وذلك بحساسية مرهفة غاية الإرهاف. لهذا عندما رأوا بعيونهم الماء وهو يُصبُّ في الأجران أمامهم، ثم رأوه يُرفع هو نفسه خمراً، وذاقوه وتحقَّقوه، حدثت في الحال المعجزة، لا معجزة تحويل الماء إلى خمر بل معجزة إيمانهم!! لقد آمنوا بالمسيح كليَّة!! إذ رأوا في هذا العمل أقصى ما يمكن أن يتمنوه أو يتصوَّروه وهو اختراق معلِّمهم لحاجز المادة. إذن، فهذا هو المسيَّا بكل ثقة وتأكيد. لقد انطبقت في أذهانهم كل كلماته العذبة وتعاليمه السابقة المنيرة على هذه القدرة الخارقة! لذلك كانت آية عُرس قانا الجليل آية المجد الأُولى لمعلِّمهم وأعظم الآيات طُرًّا في حياة التلاميذ الخمسة الأوائل، ويوحنا بالدرجة الأُولى!! ولكن ما كان أحوج التلاميذ، وما أحوجنا معهم أن نكون دائماً على هذا المستوى من الحساسية والإرهاف الشديد في تتبُّع أعمال المسيح في حياتنا ودنيانا. إنه كل يوم يحوِّل كل شيء أمامنا وفي حياتنا، ولكن **الحاجة أشد الحاجة إلى الأُذن التي تسمع والعين التي تُبصر!** إن كل شجرة – وليست العُلَّيقة وحدها – مشتعلة بالنار الإلهية ولا تحترق، ولكن ذا العين المفتوحة هو وحده الذي يرى وهو وحده الذي يخلع نعليه!وماؤنا يتحوَّل كل يوم إلى خمر، وخمرنا إلى قداسة وإلى حياة أبدية، والقريبون المترقِّبون هم وحدهم الذين ينظرون ويذوقون الرب ويتهلَّلون.

...الهوامش:(1) Epiph., C. Hearesis I, i, c. 30; i, 451, ed. petavius.(2) Edersh., Life of Jes., I, p .352.(3) يُلاحَظ أن الشعب اليهودي ليس محبًّا للسكر بطبيعته، والخمر التي كانت تُستعمل في فلسطين ليس مقطَّرة، فهي نبيذ عادي وليس مشروبات كحولية مركَّزة.

تفسير القداس الإلهي

الأب المتوحّد غريغوريوس (الجبل المقدّس - جبل آثوس)
تعريب الشمّاس سلوان موسي - دير سيّدة البلمند البطريركيّ

تتمة من العدد السابق

* إحناء الرأس

بعد الصلاة الربّانيّة ، يحثّ الشماس المؤمنين على إحناء رؤوسهم للربّ، مقرّين على هذا النحو أنّ اللّه هو السيّد. يقول **البارّ نيقولاوس كاباسيلاس** إنّ المؤمنين يحنون رؤوسهم أمام اللّه. «ليس فقط أمام مَن هو من جهة الطبيعة سيّدهم وخالقهم ، بل كعبيد مُفتدين ، أمام مَن إشتراهم بدم إبنه الوحيد نفسه». بذبيحة المسيح على الصليب، مُنحنا الحريّة وغدونا أخصّاء اللّه وأبناءه: «ليس لأحد حبّ أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبّائه. أنتم أحبّائي ... لا أعود أسمّيكم عبيداً». ويقول القديس **أثناسيوس الكبير**: «قد غدا سيّد العبيد إبناً لعبده العرضة للموت ، أعني آدم ، حتى يصير أبناء آدم ، وهم كائنات عرضة للموت ، أبناء اللّه».

إحناؤنا الرأس هو علامة إمتنان بنويّ تجاه أبينا.

جميعنا ندين بالآب نفسه ، ولكلّ واحد منّا جهاده. فرادة الشخص لا تلتغي داخل شركة الكنيسة. الإنسان أيقونة اللّه منيرة ضمن تموّجات ألوان متعدّدة. واحد السيّد، متعدّد المواهب: «يغدو المخلص متعدّداً لكلّ واحد حسب ما هو موافق. لأنّه أما لأولئك الذين يحتاجون إلى فرح، فيغدو كرمة ، ولأولئك الذين يحتاجون للدخول ، فيغدو بوّابة ، ولأولئك الذين يحتاجون إلى تقديم صلوات ، فيغدو رئيس كهنة وسيطاً. وأيضاً لأولئك الخطأة فيغدو حَمَلاً ، لكي يُذبَح من أجلهم. يغدو كلّ شيء للجميع . لكنّه يبقى بحسب طبيعته كما هو» (القديس كيرللس بطريرك أورشليم).

كلّنا «نتاول خبز الحياة» نفسه. وكلّ واحد يقتبل ذاك (أي المسيح) الذي يحتاجه في حياته الشخصيّة ، «فالذين في الشدائد فهو المنقذ ، وللخطأة فهو الشفيع، وللمساكين فهو الكنز، وللحزانى فهو المعزّي ، وللمسافرين فهو الرفيق ، والذين في البحر فهو المدبّر ، والجميع فهو الملبّي بحرارة في كلّ مكان». (سَحر السادس من ديسمبر). بالقرابين المكرّمة الموضوعة يغدو المسيح في مسار حياتنا ، **«صخرة خلاص ، مدعاة للتضرّع ، مانح رباطة الجأش ، شجاعة النفس وإقدامها ، ومروءة المجاهد»** . لأنّ ذاك هو «الطريق الصالحة حقّاً ، غير منحرفة ولا مُضلّة ... مَؤديّة بالتائبين ، إلى الآب» (خدمة الإسكيم الكبير – القديس باسيليوس الكبير).

٧ ـ المناولة المقدّسة

الكاهن: أيّها الربّ يسوع المسيح إلهنا. أصغِ من مسكنك المقدّس ، ومن مجد مُلكك ، وهلمَّ لتقديسنا ، أيّها الجالس في الأعالي مع الآب ، والحاضر ههنا معنا غير منظور ، وارتضِ أن تناولنا بيدك العزيزة جسدك الطاهر ودمك الكريم ، وبنا لكلّ شعبك.

* في السماء أنت لي وعلى الأرض أتّحد بكَ

بتأنّسه صار المسيح على مقربة من الإنسان وغدا إنساناً ، دون أن يترك العرش الأبويّ: «إذ صار ذلك تنازلاً إلهيّاً لا إنتقالاً مكانيّاً» (خدمة المديح) . «وهذا هو المُدهش أنّه كان يسلك كإنسان ، إلاّ أنّه كان يمدّ الكلّ بالحياة ككلمةَ وكان قائماً كإبن مع الآب». (أثناسيوس الكبير).

بصعوده يعود الإله ـ الإنسان إلى العرش الأبويّ لسرّ التدبير الإلهيّ. يعود إلى الآب لكنّه لا يتركنا لوحدنا. «عندما صعد النبيّ إيليا إلى السماء ترك لتلميذه أليشع رداءه. لكنّ ابن اللّه بصعوده ترك لنا بشرته. وبينما النبيّ إيليا ترك رداءه بعد أن نزعه عن نفسه ، فإنّ المسيح ترك لنا بشرته وبها ارتفع».

بعد صعوده، يستوي الربّ مع الآب في السموات وهو حاضر مع المؤمنين في القدّاس الإلهيّ. يتواجد الإنسان مع المسيح في السماء وعلى الأرض في آنٍ معاً: «في السماء أنت لي ، وعلى الأرض أتّحد بك». (القديس يوحنا الذهبيّ الفم). في السماء، أي أحضان اللّه الأبويّة. على الأرض ، أسفل ، أي في الأحضان الوالديّة للكنيسة. والإنسان يعيش ، في السماء وعلى الأرض ، فوق وأسفل ، داخل محبّة اللّه.

كما سبَقَ وقال المسيح للإثني عشر في ليلة العشاء السريّ: «إنّي ماض إلى أبي ... بعد قليل لا يراني العالم أيضاً وأمّا أنتم فترونني. إنّي أنا حيّ وأنتم تحيون». (يو:١٤ ١٢،١٩) < **فالعالم** > هو الإنسان الذي يعيش بعيداً عن القدّاس الإلهيّ ، وبالتالي لا يُشاهد المسيح ، لأنّه غارق في الظلمة. «المسيح بعد إنطلاقه من الأرض ، أي بعد صعوده إلى السموات ، سيغدو غير منظور من كلّ مَن عنده إهتمام عالمي. أمّا القدّيسون فسيشاهدونه». (القديس كيرللس الإسكندري). وكما حجب الجسد الألوهة في تجسّد الكلمة ، هكذا أيضاً في القدّاس الإلهيّ: (القديس يوحنا الذهبيّ الفم). «لأنّ هذا الخبز هو مثل ستر يحجب الألوهة داخله». (القديس غريغوريوس بالاماس).

يتبع في العدد القادم

الملائكة و الشياطين

العالم غير المنظور

م. باسيليا شلنيك

* القوّة الشيطانيّة ما هو مصدرها ؟

لم يحدث في وقت من الأوقات، إن كانت حقيقة العالم الشيطاني واضحة كلّ الوضوح، كما في أزمنتنا الحاضرة. ولم يحدث أن كان السؤال قوياً مُلحّاً: من أين تأتي هذه القوّة الشريرة ، وما هو مصدرها؟ قدر ما نراه في أيامنا ... وهو سؤال يتحدّى محدوديّة أفهامنا.

وعلى سبيل المثال، يتحدّث الرسول بولس عن «سرّ الإثم» (٢تس ٢:٧). ومن بدايات تاريخ الكنيسة ، تحدّث آباء الكنيسة ، والمؤمنون بوحي الروح القدس، محدّدين كافة الإشارات التي وردت في الكتاب المقدّس بخصوص هذا الموضوع. وعلى الرغم من تفسيراتهم نقول، بأنّهم لم يرفعوا ستار الغموض إلاّ قليلاً ، عن سرّ القوى الشيطانيّة المحيطة ، مقدّمين لنا لمحات عن دورها، ومكانهَا ، في مخطّط اللّه السرمدي، ومقاصده الأزليّة. وحتى لو كان بعض ما سنذكره في الصفحات التالية، هو مجرّد إفتراضات تحوم حول التقاليد ، أو الأساطير ، فإنّنا نثق بأن من **ورائها الحقّ الإلهيّ الأكيد** ...

وهناك فقرات عديدة في أسفار الأنبياء في العهد القديم. تتحدّث بأنّ **مقاوم اللّه** ، و**المشتكي على البشر** ، والذي يتحدّث عنه سفر أيّوب بإسم **الشيطان** (أيوب ١:٦) كان كائناً منيراً مُشعّاً، ورئيس ملائكة عظيماً جليلاً. وبحسب ما ورد في (أشعياء ١٤:١٢) وكذلك في (حز ٢٨:١٢)، نجد أن ذاك الذي لُقّب «بزهرة بنت الصبح» أي كوكب الصبح «والكروب المظلّل المسوح»، ليس سوى «**لوسيفر**» الذي معناه «حامل النور». واستناداً على هذا نرجّح، بأنّه كان أقوى من كافة الملائكة التي خُلقت وربما أوّلها ، ولأجل هذا لُقّب بالبكر بين «أبناء اللّه» ، أو بني اللّه كما يرد إسم ملائكة في سفر أيوب.

وكلمات النبيّ حزقيال تصوّره لنا أصدق تصوير ... «أنت خاتم الكمال ، ملآن حكمة وكامل الجمال. كنت في عدن جنة اللّه. كلّ حجر كريم ستَارَتُكَ عقيقٌ أحمرُ، وياقوتٌ أصفرُ ، وعقيقٌ أبيضُ، وزبرجدٌ ، وجزَعٌ، ويشبٌ وياقوتٌ أزرقُ، وبهرمانُ ، وزمردٌ وذهبٌ. أنشأوا فيك صنعة صيغة الفصوص وترصيعها يوم خُلقت. أنت الكروب المنبسط المظلّل وأقمتك على جبل اللّه المقدّس كُنْتَ. بين حجارة النّار تمشيت. أنت كاملٌ في طرقك من يوم خُلقتَ حتى وُجِد فيك إثم» (حزقيال٢٨:١٢-١٥).

ولابدّ وأنّ قوّة وعظمة «إبن النور» هذا كانت تفوق كلّ تصوّر ، فكونه «حامل نور اللّه» لابدّ وأنّه كان يُظهر مجد اللّه في ملء بهائه، ويعكس جمال اللّه في كماله ولألائه. لابدّ وأنّه كان فخر اللّه وفرح اللّه، وكأقوى كافة الملائكة. فلابدّ وأنّه قد تُوّج بأعظم سلطان. ولابدّ وأنّه أيضاً كان يتّفق مع المعرفة الألهيّة التي فاضت عليه ، والحياة الألهيّة التي ملأته في كمال ملئها ، والحماسة التي كان يحملها في باطنه، لأنّ اللّه قد أتمنه على أجمل، وأوسع دائرة في خليقته ، ولابدّ وأنّه كان يحتل أسمى عرشٍ بين الملائكة، وكان له مكانة في مشورات اللّه المقدّسة.

* أما قصّة سقوط هذه الشخصيّة العظيمة الجبّارة «**ابن الصبح**» الثائر المتمرّد ، فأنّنا نلتقي بها في سفر نبوّات أشعياء النبيّ ، حيثُ يرد عنه القول ....

«أنتَ قلتَ في قلبك أصعد إلى السموات. أرفع كرسيّ فوق كواكب اللّه (أي الملائكة). وأجلس على جبل الأجتماع في أقاصي الشمال. أصعد فوق مرتفعات السحاب. أصير مثل العليّ» (أشعياء ١٤:١٣).

وفي نبوّات حزقيال يستمر اللّه على لسان النبيّ قائلاً ... «فأطرحك من جبل اللّه. وأبيدك أيها الكروب المظلّل من بين حجارة النّار. قد ارتفع قلبك لبهجتك ، أفسدت حكمتك لأجل بهائك. سأطرحك إلى الأرض» (حزقيال ٢٨:١٦).

ففي سفر أشعياء يتحدّث النبيّ عن الساعة التي ارتفع فيها قلب **لوسيفر** ، وزادت مطامعه وقال: «**أصير مثل العليّ**». وكان في هذا **سرّ خرابه وهلاكه** ـ ويقول السيّد المسيح عن الشيطان بأنّه «لم يثبت في الحقّ» (يو٨:٤٤). ويكتب يهوذا الرسول عن الملائكة الساقطين بأنّهم «لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم» (يهوذا ١:٦)، تُرى كيف حدث هذا السقوط ؟!

* * *

✚ هناك أسطورة قديمة تروي عن المعركة الأولى بين لوسيفر ، وبين رئيس الملائكة ميخائيل تقول الأسطورة: ﴿حينما أعلن اللّه للملائكة قَصدَه بأن يخلق الإنسان ، وأن ذلك الإنسان سيكون مسكنه كوكب الأرض فإنّ هذا قد خلَقَ وضعاً جديداً بالنسبة للوسيفر. فها هو اللّه على وشك أن يخلق خلائق تعيش في الأرض حيث دائرة سلطان لوسيفر وهذه الخلائق ستكون على صورة اللّه ومساوية للملائكة في نظر اللّه. ولقد كان هذا فكراً لا يُطاق بالنسبة للوسيفر ، الذي كان يُريد أن يعلو في مركزه على الإنسان ، وأن يكون ربّاً له. لقد كان يُريد أن يكون الإنسان خادماً تابعاً ذليلاً له وحده ، يتلقّى العقاب ، والثواب على يديه.

ولكن الربّ وضَع لوسيفر في مكانه ... «الواحد والكل، هم كائنات مخلوقة. والواحد والكل هم خاضعون للخالق وللإنسان قد أُعطيَت البنويّة للّه ..».

وأربَدَّ وجه لوسيفر عند سماعه هذه الكلمة من فم الرب. وحذّره اللّه قائلاً:

«إنّ كبريائك سيكون سبب هلاكك ، حذار لئلا يدخل الموت إلى العالم». ولكن الإنذار لم يأت بفائدة فلقد أجاب لوسيفر متحدياً: «سوف أحارب ضدّك وضدّ الموت سوفَ أحارب ، لكي أكسب لنفسي الحياة الألهيّة». وهكذا قاوم لوسيفر اللّه بكل قوّته ، مستعيناً بمن التصقوا به من أتباعه.

ولم يتكلّم اللّه ...

وكان أوّل ما حدث أن سادت الظلمة على الملائكة ، وكافة الخليقة. وفي الإختبار الذي تَبِعَ ذلك ، كان على كلّ ملاك أن يقف بمفرده ، أو يسقط بمفرده. فلَم يكن هناك واحد يستطيع أن يرى زميله من شدّة الظلمة. وحتى اللّه نفسه إختفى من المشهد. وازدادت الظلمة سواداً ، وازداد الموقف توتراً. وإذ بلوسيفر يصرخ ... «**أنا هو الذي أنا هو !**» (صرخة شبيهة بلقب الجلالة "إهييه أشر إهييه» أكون من أكون كما ورد في سفر التكوين).

وإذا بأتباعه الذين التصقوا به ، يردّدون معه نفس الهتاف ، عند سماعه صرخته صارخين .. «أنا هو الذي أنا هو».

واستمرّ اللّه صامتاً ...

وعند ذاك إرتفع صوتٌ واحد من الأجواق الملائكيّة ، قويّاً ، ولكن في إتضاع ووداعة ... «**اللّه هو اللّه ، مَن هو مثل اللّه!!**».

وانقسم الملائكة إلى معسكرين وصُنِعَ القرار ، إما مع اللّه ، أو ضدّ اللّه ...

وفي عراك صامت تصارعت القوّات الجبّارة ... أمّا اللّه ، فقد نطق بهذه الكلمات أمام مشهد الصراع هذا ، وهو مغلّف بلفائف الظلمة بين المحبة والظلمة بين الوداعة والغرور ـ **فمن سيكون معي ضدّ لوسيفر؟** وهذه الدعوّة دوّت خلال الأجيال ، وما زالت تتكرّر من جديد حتى اليوم.

وجاء الجواب مرّة أخرى ، وديعاً ولكن في حزمٍ ... «كل منْ تريده يا رب!».

ودعا اللّه الملاك المتكلّم ... من أسفل الأجواق الملائكيّة وقد كان ميخائيل. وهتف به ... «ما الذي يدعوكَ إلى أن تتحدّث هكذا ؟». وجاء الجواب:«جلالك يا ربّ ، وعدَم وجودي!» وعندها قال الربّ: «لأنّك تشعر بأنّك لا شيء في ذاتك ، سوفَ تقود أنتَ المعركة ، بقوّتي ، ومعونتي» وبقوّة اللّه رُفع ...

وبترس الإيمان القوي الراسخ الذي لا يتزعزع: اللّه هو اللّه ، تهيّأ... وبسيف المحبّة الغيورة الملتهبة : مَن هو **مثل اللّه إسمك** ... (**ميخائيل معناها من هو مثل اللّه**).

وفي أقسى درجات المعركة الجبّارة المريرة ، ضدّ أقوى وأعتى الملائكة جميعاً ، لوسيفر الجبّار المتكبّر ، «حامل النور» سابقاً ، الأوّل بين الخلائق جمعاء ، إندفع الملاك ميخائيل محارباً ...

وَدَمّرَ لوسيفر الجبّار ، وطَرَدَه من محضر اللّه ، دافعاً إيّاه ، هو وكل طغماته ، إلى أعماق الأعماق وبحسب تقليد كنيسة من الكنائس أصبح ميخائيل «حارس العتبة» ، أو المحامي عن اللّه ، لأنه عند ثورة لوسيفر ضدّ اللّه ، وقف أمام العرش ، مُدافعاً ، شاهراً سيفه ، وهو يقول «**من هو مثل اللّه**».

الملاك ميخائيل يصرع لوسيفر

ومن الأسطورة السالفة نستطيع أن نرى بأكثر وضوح منشأ الهجمات الشيطانيّة ، وسرّها. فحينما فَشِلَ لوسيفر في أن يصل إلى هدف غروره ، ومطامعه في أن يكون مثل اللّه ، طُرِحَ من مركزه الرفيع. ثمّ تحوّل بعد ثورته الفاشلة ، ـ ذلك الرئيس الملائكيّ المرتدّ ـ إلى **الشيطان** أو **إبليس**. وهو يُعرف أيضاً بأسماء أخرى مثل: «**الشرّير**» و «**التنين**» و «**المقاوم**» و «**الخدّاع**» و «**الكذّاب**» و «**المُهلك**» **القَتّال** أو «**أبوليون**» الذي هو ملاك الهاوية التي لا قرار لها (رؤ ٩:١١). «**ورئيس هذا العالم**» «**والمشتكي**» على الأخوة ـ أسماء لها مدلولاتها الرهيبة التي تُثير الرعب في النفس.

ضد المسيح ، الكذّاب ، المهلِك والمقاوم

«فأجابهم يسوع وابتدأ يقول: أنظروا لا يضلّكم أحدٌ. فإنّ كثيرين سيأتون بإسمي قائلين إنّي أنا هو . ويُضلّون كثيرين».

إنّ الشيطان هو المخلوق الخفيّ المقاوم للّه ، في السماء وعلى الأرض ووسط كافّة الخليقة ... هو **المقاوم** الذي يحاول أن يُفسد مخطّط اللّه في الوجود ... ومنذ ذلك الحين ، منذ سقوط لوسيفر ، إندلعت نيران القتال ، بين **النور** و**الظلمة** ... بين الخير والشرّ. أما الملائكة التي إنحازت إلى لوسيفر فقد تحوّلت إلى شياطين ، وإلى أرواح شريرة هائمة، طُرِحَت من محضر اللّه ، حينما حدث الإنشقاق العظيم ، ولم تستَطع أن تثبت في الإمتحان. وإنّنا لنقرأ في سفر الرؤيا (١٢:٤) ، أنّ ثلث عدد الملائكة في تلك الآونة . قد أُبعدوا من دوائر النشاط الإلهيّ ، وطُردوا ، ويتحدّث بطرس الرسول عن هذه الحادثة فيكتب في رسالته الثانية (بطرس الثانية ٢:٤) قائلاً: ... «**اللّه لم يشفق على ملائكة أخطأوا ، بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنّم ، وسلّمهم محروسين للقضاء**».

يتبع في الدد القادم

آباء الكنيسة والعهد القديم

يعبّر **المغبوط أوغسطين** بشكل نموذجي عن الموقف الآبائي العام من الشريعة القديمة بقوله الشهير: *(Novum Testamentum in Vetere latet. Vetus Testamentum in Novo patet)* (العهد الجديد هو إتمام العهد القديم). يسوع المسيح هو الماسيّا الذي تكلّم عنه الأنبياء. فيه تحققت كل الوعود والتوقعات. الناموس والإنجيل متلائمان. ولا يستطيع أحد أن يدّعي بأنّه من أتباع موسى الحقيقيين إلاّ إذا آمن بأن يسوع هو رب. إن كل مَن لا يدرك بأن يسوع هو الماسيّا، مسيح الرب، يخون بذلك الشريعة القديمة نفسها. **وحدها كنيسة المسيح تحتفظ الآن بالمفتاح الصحيح للكتاب المقدّس، المفتاح الحقيقي للنبوءات القديمة**. لأن كل هذه النبوءات تحققت بالمسيح.

يرفض **القديس يوستينوس** الاقتراح بأن العهد القديم هو صلة ربط بين الكنيسة والهيكل اليهودي. بالنسبة له العكس صحيح تماماً. يجب رفض الادّعاءات اليهودية بشكل منهجي. **لم يعد العهد القديم ينتمي لليهود** بل هو يخص الكنيسة وحدها وبالتالي **كنيسة المسيح هي إسرائيل اللّه الحقيقية الوحيدة**. لم تكن إسرائيل القديمة سوى كنيسة غير نامية. بحسب استعمالها في كنيسة الفترة الأولى، كلمة «**الكتب**» ذاتها عنَت قبل كل شيء العهد القديم وبهذا المعنى تُستعمَل بشكل جلي في قانون الإيمان «**كما جاء في الكتب**»، أي بحسب نبوءات الشريعة القديمة ووعودها.

✚ وحدة الكتاب المقدّس

يستَشهد الكُتّاب الأوائل بالعهد القديم بغزارة. وحتى بالنسبة للأمم، كانت رسالة الخلاص دائماً تُقدَّم بإطار العهد القديم. هذا كان حجة منذ القدَم. لم يلغِ المسيح العهدَ القديم لكنه جدّده وأتَمّه. بهذا المعنى لم تكن المسيحية ديناً جديداً. ببساطة دُمجت الكُتب المسيحية الجديدة بالكتاب اليهودي الموروث على أنها تتمته العضوية. ووحده الإنجيل كاملاً، أي العهدان معاً، إعتُبر السجلّ الوافي للوحي المسيحي. لم يكن هناك أي انقطاع بين العهدين بل وحدة من التدبير الإلهي.

وقد كانت المهمّة الأولى للآهوت المسيحي إظهار وشرح كيف أن الشريعة القديمة كانت تهيئة وتوقعاً لإعلان اللّه النهائي في يسوع المسيح. لم تكن الرسالة المسيحية مجرد إعلان لبعض العقائد، بل هي قبل كل شيء سجل لأعمال اللّه العظيمة وأفعاله عبر العصور. لقد كانت تاريخاً للإرشاد الإلهي بلغ ذُروته في **شخص المسيح يسوع** الذي أرسله اللّه ليفتدي شعبه. لقد اختار اللّه إسرائيل لميراثه، ليكون شعبه وحافظ حقيقته، ولهذا الشعب المختار وحده أوكِلَت الكلمة الإلهيّة. والآن تسلّمت الكنيسة هذا الميراث.

لقد اعتُبر العهد القديم بأكمله نبوءة مسيحية و«**تهيئة إنجيلية**». منذ وقت مبكر جُمّعت بعض المختارات الخاصة من نصوص العهد القديم واستعملها المبشرون المسيحيون. من أفضل عيّنات هذا النوع هي شهادات **القديس كبريانوس** (*Testimonia*). وقد حاول **القديس يوستينوس** في حواره مع **تريفو** أن يثبت حقيقة المسيحية من العهد القديم. محاولة الماركيونيين قطع العهد الجديد عن جذوره في القديم قوبلت بمقاومة نشيطة وأدينت من الكنيسة العظمى. لقد أُكّدت وحدة العهدين بقوة وشُدّد على انسجامهما الداخلي. لقد كان هناك دائماً بعض الخطر من قراءة الكثير من العقيدة المسيحية في كتابات العهد القديم. وقد عُتِّم المنظار التاريخي أحياناً بشكل خطير. ولكن لن يزل هناك حقيقة عظيمة في كل هذه المساعي التفسيرية. لقد كان هذا شعوراً عظيماً بالتوجيه الإلهي عبر العصور.

✚ العهد القديم كقصة رمزية

تاريخ تفسير العهد القديم في كنيسة الأزمنة المسيحية الأولى هو من أكثر الفصول إهتزازاً وإرباكاً في تاريخ العقيدة المسيحية. ورثت الكنيسة بعض التقاليد التفسيرية مع العهد القديم اليوناني. **فيلو**، اليهودي المتهلّن من الإسكندرية، كان من أفضل المثلين لهذا المسعى ما قبل المسيحي لاستيداع العهد القديم للأمم. لقد إختار لهذه المهمة طريقة فريدة جداً هي المجاز. لم يكن **لفيلو** أي فهم للتاريخ. لقد أغفل الحوافز المسيانية أو أهملها في فلسفته للكتاب. بالنسبة له، الكتاب كان فقط نظاماً للفلسفة الإلهية أكثر مما هو تاريخ مقدّس. وعلى هذا الأساس لم يكن للأحداث التاريخية أي أهمية أو شأن بالنسبة إليه. لقد كان الكتاب المقدّس بالنسبة له كتاباً واحداً فشل في أن يتبيّن فيه أيّ منظار أو تقدّم تاريخي. لقد تعاطى معه بالواقع كمجموعة من الحكايات الرمزية المجيدة والقصص التعليمية المعدّة لحمل بعض الأفكار الفلسفية والأخلاقية وتصويرها.

لم تقبل الكنيسة هذه الطريقة الرمزية بهذا الشكل المتطرف. ومع ذلك، ينبغي الإقرار بتأثير **فيلو** القوي على كل المقالات

التفسيرية في القرون الأولى. لقد استعمل **القديس يوستينوس فيلو** كثيراً. برنابا المنحول (أوائل القرن الثاني) ذهب حتى إلى إنكار الصفة التاريخية للعهد القديم. لقد تبعت مدرسة الإسكندرية المسيحية التقاليد الفيلونية. وحتى لاحقاً، **القديس أمبروسيوس** كان يتبع **فيلو** إلى حد بعيد في تعليقاته ومن الممكن تسميته بحق ***Philo latinus***. لقد كان هذا التفسير الرمزي ملتبساً ومضللاً.

لقد مر وقت طويل قبل أن يُستعاد التوازن ويتثبّت. ومع هذا ينبغي أن لا يغفل المرء عن المساهمة الإيجابية لهذه الطريقة. أفضل ممثل للتفسير المجازي في الكنيسة كان **أوريجنس** وتأثيره كان هائلاً. قد يُفاجأ المرء بجرأته التفسيرية وانحرافه. لقد اعتاد بالواقع أن يقرأ الكثير من عنده في النص المقدّس. لكن وصفه بالفيلسوف يكون خطأً مريعاً. لقد كان قبل كل شيء وطوال الوقت باحثاً كتابياً، طبعاً بأسلوب زمنه. لقد قضى أياماً وليال على الكتاب المقدّس. هدفه الرئيسي كان فقط تأسيس كل عقيدةً وكل لاهوت على أساس كتابي. لقد كان مسؤولاً إلى حد كبير عن قوة الروح الإنجيلية في كل اللاهوت الآبائي. قدّم الكثير للمؤمن العادي إذ جعل الكتاب المقدّس سهل المنال بالنسبة إليه. كان دائما يُدخِل العهد القديم في تعليمه. لقد ساعد المؤمن العادي على قراءة العهد الجديد ليتقدّس به. وهو شدّد دائماً على وحدة الكتاب المقدّس واضعاً العهدين في علاقة أكثر قرباً. لقد قام بمحاولة جديدة لبناء عقيدة اللّه بأكملها على أساس كتابي.

إنّ قصور أوريجنس واضح لكنّ مساهمته الإيجابية أكبر بكثير. فبمثاله علّم اللاهوتيين المسيحيين أن يعودوا دائماً إلى نصوص الكتب المقدّسة ليستلهموها. لقد تبع أغلب الآباء خطّه وفي الوقت نفسه لقي مقاومة شديدة. ليس من مجال هنا للخوض مطوّلاً في الجدل بين مدرستي التفسير في كنيسة القرون الأولى، فالمعالم الأساسية معروفة إجمالاً. المدرسة الأنطاكية توقفت عند التاريخ بينما اهتمّ الإسكندريون بالتأمّل. وبالتأكيد ينبغي جمع العنصرين بتركيبة متوازنة.

✚ التاريخ أو الوعظ

لقد كان الافتراض الاسكندري الأساسي بأن الكتب، كونها ملهَمة من اللّه، تحمل في طياتها رسالة كونية لكل الأمم والعصور. هدف الكتب هو عرض هذه الرسالة واكتشاف كل هذه الثروات، التي حفظتها الحكمة الإلهية بعناية في الكتاب، وتعليمها. تحت حرف الكتابات المقدّسة بعض الدروس التي ينبغي بالمتقدمين تعلّمها. خلف كل السجلاّت البشرية لظهورات اللّه المتنوّعة يمكن للمرء أن يتبيّن الوحي الإلهي وأن يفهم كلمة اللّه في كل بهائها الخالد.

لقد إفتُرض أنّه حتى عندما تكلّم اللّه في ظل بعض الظروف كان في كلامه دوماً ما يتخطّى كل القيود التاريخية. على المرء أن يميّز بتأنٍ بين النبوءة المباشرة وما يمكن وصفه كتطبيق لها. يمكن للكثير منً روايات العهد القديم أن تنوّر المؤمن حتى ولو لم يكن الكاتب قد قصد فيها أي تصوير مسبق لحقيقة مسيحيّة ما. إن الافتراض المسبَق الأساسي كان بأنّ اللّه أراد أن تكون الكتابات المقدّسة الدليل الأبدي لكل الجنس البشري. وبالتالي كان جائزاً إستعمال العهد القديم أو إعادة تفسيره بشكل محترم.

اهتمّ التفسير الأنطاكي بالمعنى المباشر للروايات والنبوءات القديمة. الشارح الأبرز لهذا التفسير التاريخي كان **ثيودور المبسويستي** المعروف في الشرق **بالمفسّر**. ومع أن مرجعيته تعرّضت للشبهة بشكل خطير لإدانته بسبب تعاليمه الخاطئة، إلاّ إن تأثيره على التفسير المسيحي للعهد القديم ما يزال مهماً جداً. هذا التفسير التاريخي كان غالباً في خطر فقدان المعنى الكوني للوحي الإلهي عن طريق التشديد المفرط على الأوجه المحلية والقومية في العهد القديم. وأكثر من ذلك، في خطر فقدان المنظار الإلهي والتعاطي مع تاريخ العهد القديم وكأنه تاريخ شعب واحد بين أمم الأرض وليس تاريخ ميثاق اللّه الحقيقي الوحيد.

لقد دمج **القديس يوحنا الذهبي الفم** أفضل العناصر من المدرستين في مسعاه التفسيري. لقد كان عالماً أنطاكيّاً لكنه كان في كثير من الأوجه من أتباع أوريجنس أيضاً. قد تكون الرمزية مضللة ولكن على المرء ألاّ يهمل المعنى النموذجي للأحداث. مؤسسات العهد القديم وشخصياته كانوا أيضاً نماذج ورموز للأشياء القادمة. التاريخ نفسه كان نبوياً. فالأحداث نفسها تتنبأ، وهي تنبأت مشيرة إلى شيء ما يتخطاها. يصعب وصف الآباء الأوّلين بالأصوليين. لقد كانوا دائماً يسعون وراء الحقيقة الإلهية ووراء الرسالة الإلهية نفسها التي غالباً ما كانت محتجبة خلف ستار الحرف. بالكاد إستطاع الإيمان بالوحي أن يعيق الميل الأصولي. لا يمكن تحويل الحقيقة الإلهية إلى حرف حتى ولو كان الكتابات المقدسة.

أحد أفضل نماذج التفسير الآبائي هو الأيام الستة (***Hexameron***) **للقديس باسيليوس** الذي نجح في تقديم الحقيقة الدينيّة للرواية الكتابية عن الخلق بتوازن حقيقي واعتدال لا عيب فيه.(أنظر الأعداد السابقة من مجلة نور المسيح لهذا التفسير).

✚ العهد القديم والعبادة المسيحية

إنعكس الموقف الآبائي من العهد القديم في تاريخ العبادة المسيحية. فالجذور اليهودية لليتورجيا المسيحية واضحة كل الوضوح ، لكن نظام العبادة المسيحية العمومية كان مرتبطاً بشدة بممارسة المعبد اليهودي أيضاً.

المزامير هي ميراث من اليهود وقد صارت نموذجاً لكتابة الترانيم في كنيسة القرون الأولى. إلى اليوم، تشكّل المزامير الهيكل العظمي لكل الخدم المسيحية وقد كانت الأساس لكل الأدب التعبدي في الأيام القديمة.

يتأثّر دارس العبادة العامة في الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية بكثرة الإشارات والتلميحات والصور التي من العهد القديم، في كل خدم هذه الكنيسة وترانيمها، ما يؤكّد وحدة العهدين. الحوافز الكتابية غزيرة والكثير من الترانيم ليست سوى أشكال مختلفة لنمط تراتيل العهد القديم، من ترنيمة موسى عند اجتياز البحر الأحمر إلى نشيد زخريا والد يوحنا المعمدان. وقد حُدد في الأعياد الكبيرة عدد من فصول العهد القديم التي تُقرأ للتشديد على أن الكمال المسيحي ليس سوى تحقيقاً لما سبق تصويره وأنذِر به أو حتى أعلن مباشرة منذ القديم.

ويُشدَد بشكل خاص على هذا الاستعداد من العهد القديم في خدم الأسبوع العظيم. ترتكز كل العبادة على هذه القناعة بأنّ الميثاق الحقيقي كان دائماً واحداً، وبأنّه كان هناك دائماً توافق كامل بين الأنبياء والرسل. وقد تأسّس كل هذا النظام لاحقاً في العصر الآبائي.

يُقرأ **القانون الكبير للقديس أندراوس الكريتي** في صلاة النوم الكبرى في الصوم الكبير. بين الأمثلة المختلفة عن الكتابة العبادية، هذا القانون هو الأكثر لفتاً للنظر. إنه حضّ قوي ومناشدة على التوبة مؤلّف بإلهام شعري حقيقي ومرتكز على الإنجيل. فيه يتم تذكّر كل سلسلة خطأة العهد القديم، التائبين منهم وغير التائبين. قد يضيع المرء في هذا الدفق المستمر للأسماء والعبَر. يتذكّر المسيحي بشكل رائع أن قصة هذا العهد القديم تخصّ المسيحيين. المسيحي مدعو إلى التفكير مرة وتكراراً في هذه القصة الرائعة عن التوجيه الإلهي والعصيان والسقطات البشرية. إنّ العهد القديم محفوظ ككنز ثمين. على المسيحي أن يشير أيضاً إلى تأثير نشيد الأنشاد على نشوء النسك المسيحي. لقد كان تعليق أوريجنس على هذا السفر، برأي القديس أيرونيموس، أفضل مؤلّفاته إذ فيه تخطّى نفسه. كما أنّ التفسير النسكي للقديس غريغوريوس النيصّي لنشيد الأنشاد هو منجم غني للوحي المسيحي الأصيل.

✚ العهد القديم ككلمة الله

إن الآباء آباء الكنيسة العظام هم مَن حفظ كل كنوز العهد القديم وجعلها إرثاً لا غنى عنه للكنيسة، في العبادة كما في اللاهوت. الشيء الوحيد الذي لم يفعلوه هو أنّهم لم يتوقفوا عند القصور اليهودي. فالكتابات المقدسة كانت بالنسبة لهم إعلاناً أزلياً وكونياً وهي موجّهة الآن إلى الجنس البشري لأنها، ببساطة، وُجّهت إلى كل الأمم من اللّه نفسه حتى عندما كانت كلمة اللّه منقولة من الأنبياء إلى الشعب المختار وحده. هذا يعني أنّه غير ممكن قياس عمق الإعلان الإلهي بمقياس بعض الأوقات الغابرة مهما كانت هذه الأوقات مقدّسة. لا يكفي أن نكون أكيدين من أنّ اليهود القدامى فهموا الكتاب المقدس وفسّروه بطريقة ما إذ لا يمكن أن يكون هذا التفسير نهائياً. إنّ الذي أتى فقط ليتمّ الناموس والأنبياء قد سلّط ضوءً جديداً على الإعلانات.

ليست الكتابات المقدسة مجرّد وثائق تاريخية. إنّها بالحقيقة كلمة اللّه والرسالة الإلهية لكل الأجيال. **ويسوع المسيح هو ألف الكتاب المقدس وياؤه، ذروة الإنجيل وعقيدته. هذه هي رسالة الآباء القائمة إلى كل الكنيسة حول التدبير القديم والقويم.**

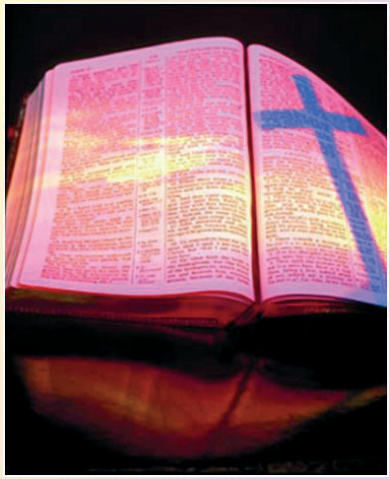

السيّد المسيح هو محور وأساس الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، هو: الألف والياء، الأول والآخر، البداية والنهاية.

فظل الخلاص بالصليب الكريم المحيي قائم في طيّات العهد القديم منذ الخلق.

كتاب لصلاة الغروب، منذ القرن السادس عشر، في دير القديسة كاترينا في سيناء

هكذا صلوات كنيستنا الروميّة الأرثوذكسيّة ترتكز على العهدين القديم والجديد، المزامير والأنبيـاء .... الرسائل والأناجيل. فالكتاب المقدس موحى به من اللّـه وهو نـافع للتعليـم، يقـودنا للخلاص بالمسيح يسوع ضابط كل شيء يرى وما لا يرى، إيّاه نبارك، وله نسجد ونمجد مع أبيه وروحه القدوس إلى الأبد آمين.

المحبة ... تصبر على كلّ شيء

إنّ طول الروح هو الصبر، والصبر هو الغلبة، والغلبة هي الحياة، والحياة هي الملكوت. البئر عميقة ولكنّ ماءها عذبٌ وطيّب. الباب ضيّق والطريق كربة ولكن المدينة مملوءة فرحاً وسروراً. البُرج شامخ حصين ولكنّ داخله كنوز جليلة. الصوم ثقيل لكنه يوصل إلى ملكوت السموات. فعل الصلاح عسيرٌ شاقّ ولكنه يُنجّي من النّار برحمة ربّنا الذي له المجد. آمين

(القديس مكاريوس الكبير).

الرموز التي وردت في العهد القديم عن السيّدة العذراء خيمة الإجتماع (٥)

خيمة الإجتماع مكان لقاء اللّه مع شعبه بواسطة النبي موسى .

«وأخذ موسى الخيمة ونصَبها له خارج المحلَّة بعيداً عن المحلَّة ودعاها خيمة الإجتماع. فكان كُلّ مَنْ يَطلُب الرب يخرج إلى خيمة الإجتماع. التي خارج المحلَّة. وكان جميع الشعب إذا خرج موسى إلى الخيمة يقومون ويقفون كلٌّ واحد في باب خيمته وينظرون وراء موسى حتى يَدخُل الخيمة. وكان عمود السحاب إذا دَخلَ موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة. ويتكلّم الربّ مع موسى. فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفاً عند باب الخيمة . ويقوم كلُّ الشعب ويسجدون كلٌّ واحد في باب خيمته. ويُكلّم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلّم الرجُل صاحبه. وإذا رَجَع موسى إلى المحلّة كان خادمهُ يشوع بن نون الغلام لا يبرح من داخل المحلَّة»(خروج٣٣:٧-١١)

خيمة الإجتماع :

سميّت كذلك لأنّ فيها كان يجتمع الرب بشعبه ولذلك سميّت خيمة الإجتماع. وفي سفر الخروج وردَ: «فيضعون لي مقدساً لأسكن في وسطتهم» (خروج ٢٥:٨). ولذلك سميّت المسكن أيضاً وكانت تودع فيها ألواح الناموس والشهادة ولذلك سميّت مسكن الشهادة (خروج ٣٨:٢١).

+ **السيّدة العذراء** هي خيمة الإجتماع التي حلّ فيها الكلمة الأزلي وسكن بواسطتها بين الناس.

+ **في خيمة الإجتماع** كان يحلّ اللّه ظهورياً ، أما العذراء مريم فقد صارت خيمة وقدس أقداس بحلول اللّه فيها.

+ **في خيمة الإجتماع** كان هناك حاجز بين الموضع الذي يُقال له القدس ، وقدس الأقداس. وكان لابدّ أن يتمّ إختيار العذراء مريم من بين ملايين البشر لكي يحلّ ابن اللّه فيها وروحه القدّوس.

+ **فقدس الأقداس** كان يحوي لوحي الشريعة وقسط المنّ وعصا هارون ، والعذراء مريم حوت ابن اللّه الكلمة الذي هو الشريعة ذاتها ، والمنّ رمز الحياة وابن اللّه هو الحياة ذاتها، وعصا هارون التي هي العذراء ذاتها « وإذا عصا هارون لبيت لاوي قد أفرخت فروخاً وأزهرت زهراً وأنضجت لوزاً» (عدد ١٧:١-١١). أي المسيح الإله المتجسّد.

+ **لم يكن** مسموحاً لأحد أن يدخل قدس الأقداس إلاّ رئيس الكهنة مرّة واحدة في السنة ، والعذراء مريم هي البتول التي دخل (حلَّ) فيها رئيس الكهنة الأعظم مرّة واحدة عبر الزمن.

+ **تعتبر خيمة الإجتماع** أو المسكن في العهد الجديد رمزاً للمسيح (عبرانيين ٩:١١). ثمّ يتحدّث سفر الرؤيا عن سكنى اللّه مع الناس وإنّه سيسكن معهم وفيه إشارة إلى دوام الشركة الروحيّة والتمتّع الأبوي بالحضرة القدسيّة (رؤ٢١:٣) ، فالعذراء مريم جسراً ناقلاً الذين في الأرض إلى السماء. (البيت الثالث من خدمة المديح).

+ **خيمة الإجتماع** كانت مصنوعة من الخارج من شعر المعزى ، وعليها غطاء من جلود الكباش والتيوس ، رمزاً للكنيسة التي كانت محتقرة من العالم الخارجي.

أما الخيمة من الداخل فكانت مزيّنة بالبوص المبروم المطرّز بالكاروبيم ومن معادن ذات قيمة : ذهب وفضّة ونحاس وأدوات الزينة رمز إلى المجد والبهاء والعظمة التي تليق بمجد اللّه وبهاءه ، وهذا أيضاً مثال للسيّدة العذراء.

وفي هذا يقول القديس بولس البوشي:

﴿هذا هو حُسن بهاء البتول مريم التي زيّنَت ذاتها بالفضائل وبهاء النفس الباطنة، وأما في إنسانها الظاهر فلم تهتم بشيء من أمور العالم قَلَّ أو كَثُر ، إنما كان إهتمامها التقرّب من ربّها لتكون طاهرة بجسدها وروحها كما يعلمنا الرسول بولس أن تكون زينة النساء ليست بالزينة الخارجيّة بضفائر الشَعْر وحلى الذهب ولبس الثياب الفاخر ، بل زينة الإنسان الباطن ؛ الزينة الخفيّة التي تكون بالقلب المتواضع. الزينة التي هي عند اللّه غاية الكمال.

وبهذا استحقّت الطوباويّة مريم أن تُدعى القبّة الثانية التي حلّ فيها مجد اللّه لأنّ تلك الأولى التي صنعها موسى كانت معمولة بشقق من الحرير والقرمز والأرجوان وغزل كتّان متقنة بصنعة صانع حاذق.

وكانت فيها آنية الخدمة ذهب وفضّة مع المنارة وتابوت العهد من ذهب الإبريز مُصاغاً وعُمُدها من ذهب، والقواعد فضّة مهيّأة بهذا البهاء من الداخل أما من الخارج فكانت مستورة بخرق شعر فكانت تُرى من خارجها حقيرة المنظر ، ومن داخلها جليلة المقدار والكرامة والبهاء شهيّة المنظر ومجد الربّ فيها.

وهكذا الطوباويّة مريم كان منظرها متواضعاً عفيفاً ورعاً. أما الباطن فكان جليلاً جداً وهو ضياء نفسها الملتصقة باللّه المتطلّع عليها. كما هو مكتوب في سفر صموئيل النبيّ أن الناس ينظرون من الظاهر ، وأنا أنظر من الباطن يقول الرب. وكما قال داود النبيّ: «جميع مجد إبنة الملك من داخل مزيّنة» ﴾.

مدخل إلى كتاب المزامير

لأبينا الجليل في القديسين أثناسيوس الكبير

١

بإسم الآب والإبن والروح القدس. آمـــين

+ فردوس المزامير:

نعم إنَّ كلَّ مُلهج به من اللّه نافعٌ للتعليم كما قالَ بولسُ الرسول، ولكن على الخصوص كتاب المزامير الشريف، لأنَّ كلَّ مصحفَ تفرَّدَ بأمر يختصُّ به في عهده. أعني بقولي أنَّ التوراة قد تَفَرَّدَتْ بتكوين العالَم وأعمال رؤساء الآباء وخروج بني اسرائيل من مصر وفرض الشريعة وترتيب المظلَّة والكهنوت. ثلاثة كُتُب منها تحتوي على قسم الميراث وأعمال القضاة ونسبة داوود، والكُتُب الباقية تحتوي على أعمال الملوك وكتاب عزرا الذي يخبّر عن عتاقة السبي وإياب الشعب وبناء الهيكل والمدينة. وأمّا الأنبياء فتخبّر عن حضور المخلص وتذكّر بالوصايا وتذمّ مخالفيها وتتنبَّأ للأمم. وأما كتاب المزامير فهو بمنزلة كتاب فردوس يحتوي على جميع ما في الكُتُب مُرَتلاً ويُنشد ظاهراً ما يختص بها.

+ التوراة في المزامير:

أما مسائلُ التكوين فيترنّم بها في المزمور الثامن عَشَر بقوله: «السمَوات تُذيعُ مجدَ الله، والفلك يُخبّرُ بأعمال يديه». وفي المزمور الثالث والعشرين يقولُ: «للربِّ الأرضُ بكمالها، الدنيا وكُلُّ الساكنينَ فيها. هو على البحار أسَّسها وعلى الأنهار هيأها ». وأما أخبارُ كتاب الخروج والعدد وتثنية الإشتراع فقد أحسن ارتجازَهُ في المزمور السابع والسبعين بقوله : «في خروج إسرائيل من مصر، وبيت يعقوب من شعب البربر، كانَ يهوذا مقدسة وإسرائيل سلطانة » . وفي المزمور المائة والأربعة يقول: «أرسلَ موسى عبدّهُ وهارونَ الذي انتخبَهُ لنفسه، جعلَ فيهم كلامَ علاماته وآياته في أرض حام » . ونقول بعامةَ إنَّ هذا المزمور مع الذي يَليه بجَملتها يخبّران بهذه القصص.

وأما أمور الكهنوت والمظلّة فيخبِّر بها في المزمور الثامن والعشرين بقوله: «قَدموا للرب يا أبناءَ الله، قدِّموا للرب مجداً وكرامةً ».

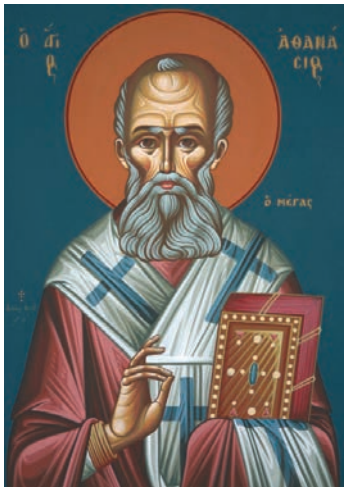

القديسين أثناسيوس الكبير

وأمّا قصَّة يشوع بن نون فيشرحُها في المزمور المائة والستة حيث يقول: « أقاموا مُدناً للسكنى، وزرعوا حُقولاً، وغَرسوا كروماً » . لأنَّ في عهد بن نون أُعطيَت لهُم أرضُ الميعاد. وفي المزمور عَينه قيل: «صَرَخوا إلى الربِّ في حُزنَهم ومن شدائدهم خلَّصهُم » . وهذا أورده أيضاً كتابُ القضاة أنَّ وقتَ صراخهم كانَ يقيمُ لهم قضاة بحسب الزمانِ ويخلّصهم من محزنيهم.

+ أخبار الملوك:

أما أخبار الملوك فينشدها في المزمور التاسع عَشَر قائلاً: «هؤلاء بالمراكب وهؤلاء بالخيل» . وقصّة عزرا يرتّلها المزمور المائة والخمسة والعشرون من مزامير الدرجات قائلاً : « اذا ما ردَّ الربُّ سبيَ صهيون مثل المتعزّين ». وأيضاً في المزمور المائة والواحد والعشرين يقول: « فَرحْتُ بالقائلين لي إلى بيت الربِّ نذهب...– وصولاً إلى – شهادة لإسرائيل ».

+ الأنبياء في المزامير:

أمَّا أخبار الأنبياء كُلّها التي تشيرُ إلى حضور المخلّص إلهاً فيخبّر عنها المزمور التاسع وألأربعون بقوله: «هكذا الله يأتي جهراً. إلهنا لا يصمت». وفي المزمور المائة والسابع عَشَر يقول: «مبارك الآتي باسم الربّ، باركناكم من بيت الرب. الله الرب ظهر لنا ». وكلمة الآب، من جهة أخرى، يرتلها المزمور المائة والستّة قائلاً : «أرسَلَ كلمتهُ فشفاهم ونجّاهم من فسادهم»، لأن الإله الآتي هو نفسُهُ الكلمة المرسَل. فلعلمه بالكلمة انَّهُ ابنَ اللّه رتَّل، كمن صوت اللّه الآب، في المزمور الرابع وألأربعين قائلاً: «فاضَ قلبي كلمةً صَالحةً »، وأيضاً في المزمور المائة والتسعة: «من البطن قبل كوكب الصبح ولدتك». لأنه أي شيء آخر يقال عن مولودَ اللّه سوى كونه كلمتَه وحكمتَه.

واذا كان صاحب المزامير يعلم أن الآب هو القائل: «ليكن نور فكان» أشهره في الكتاب بقوله: «بكلمة الربِّ تشدّدت السموات وبروح فمه جميع قواتها». كذلك لم يغب عنه أنَّ الكلمة سيأتي مسيحاً، لأجل ذلك قال في المزمور الرابع وألأربعين: «كرسيك يا الله إلى أبد الأبد ... أفضل من شركائك». ولئلا يظنّ أحدٌ أنَّهُ يأتي تخيّلاً يُعلنُ أنَّهُ يصير إنساناً الذي به كل شيء قد كُوّن، فيقول في المزمور السادس والثمانين: «الأمّ صهيون تقول انسان وانسان ولد فيها وهو العليّ الذي اسَّسها». فهذا القول يساوي قولنا: «واللّه هو الكلمة كلّ به كان» (يوحنا ١:٣).

وأما عن ولادته من البتول فقد علَّمَ به وما سكَتَ عنه بل أوضَحهُ في المزمور الرابع والأربعين قائلاً: «إسمعي يا إبنة وانظري...لأَنَّهُ هو ربُّك وله تسجدين»، وهذا يماثل ما قيل من قبَل جبرائيل: « إفرحي يا ممتلئة نعمة. الربُّ معك». لأنه لما قالَهُ مسبحاً للوقت أوضَحَ إتلادَهُ البشري من البتول منادياً: «إسمعي يا إبنة». فأما جبرائيل فيدعوها مريم بإسمها لأنه غريب عنها بحسب النسب، واما داود فيدعوها بايجاب إبنة لأنها من نسله.

وبعدما قالَ عن الكلمة إنه يكون إنساناً أوضَحَ أنَّه يقبل الالآم بجسده أيضاً. وإذ لاحَظَ التسليم المزمع أن يكون من اليهود رتَّلَ في المزمور الثاني قائلاً: «لماذا ارتّجت الأمَمُ والشعوبُ هذَّت بالباطل. قامت ملوك الأرض والرؤساء اجتمعوا جميعاً على الرب وعلى مسيحه». وأمّا عن موته فيخبر في المزمور الحادي والعشرين كمن فم المَخلص بالذّات: «وَإلى تُراب الموت أحدرتني...وعلى لباسي اقترعوا». أما قوله: «ثقبوا يديَّ ورجليَّ»، فأي شيء يعني سوى صلبه ؟ وفيما يعلّم بهذه كُلّها يضيف إلى تعليمه أنَّ ربَّنا قد كابَدَ هذه الآلامَ لا من أجل ذاته بل من أجلنا نحن البشر. ويقول على لسانه في المزمور السابع والثَمانين: «عليَّ اشتدَّ غضبكَ وجميع أهوالك جازَت عَليَّ»، وفي المزمور الثامن والستين:«كنتُ أرد حينئذ ما لم أخطف». فلقد قَبلَ الموتَ لا مستوجباً لهُ بل من أجلنا، وقد أخذ على عاتقه السخطَ الواجب علَينا بسبب المعصية.

وفي المزمور المائة والسابع والثلاثين يقول بالنيابة عنّا: «الربُّ يكافئ عنّي»، وفي المزمور الحادي والسبعين: «يقضي لمساكين الشعب ويخلّص بني البائسين ويُذلُّ الباغي ..... لأنه نجّى المسكينَ من يد القوي والفقير الذي لم يوجد له معين».

وأيضاً سَبَقَ وخَبَّرَ عن صعوده إلى السموات بالجسَد في المزمور الثالث والعشرين بقوله: «إرفعوا أيُّها الرؤساءُ أبوابكم وارتفعي أيتها الأبواب الدهريّة لَيدخل ملك المجد»، وفي السادس وألأربعين يقول: «صَعدَ اللّه بتهليل الربُّ بصوت البوق». وأما في المزمور المائة والتاسع فيخبر بجلوسه عن يمين الآب بقوله: «قال الربُّ لربّي إجلس عن يميني حتّى أضعَ أعداءك موطئاً لقدميكَ»، فيما يشير في المزمور التاسع إلى هلاك الشيطان هاتفاً: «جلَستَ على المنبر يا ديّان العدل. إنتهرتَ الأمم وهلك المنافق».

حتى عن أخذ الكلمة الحكُمَ كُلَّهُ من الآب لم يخفه داود بل أخبر به قائلاً إنهُ يأتي ليدين الكل. وكذلك في المزمور الحادي والسبعين: «اللهُمَّ أعط حكمك للملك وعدلك لأبن الملك لشعبك بالعدل ولفقرائك بالانصاف». وفي المزمور التاسع وألأربعين يقول: «يدعو السماء من فوق وألأرض لمحاكمة شعبه وتخبّر السموات بعدله لأن اللّه هو الديّان» . أمّا في المزمور الحادي والثمانين فيقول: «اللّه قام في مجمع الآلهة وفي وسط الآلهة يحكم». أيضاً دعوته الأمم يعبّر عنها في هذا الكتاب في مواضع كثيرة لا سيّما المزمور السادس وألأربعين حيث يقول: «يا جميع الأمم صفقوا بألأيادي، هللوا للّه بصوت الإبتهاج» ، وفي المزمور الحادي والسبعين حيث أورد أنَّ: «أمَامَهُ تجثو الحبشة...»

السموات تذيع بمجد الله والفلك يخبر بأعمال يديه (مزمور١٨:١).

والرسول بولس يقول: الإله الحيّ الذي خلق السماء والأرض والبحر وكلّ ما فيها. (أعمال١٤:١٦)

+ كثافة الروح في المزامير:

كل هذه ترتّل في المزامير، وفي الكتب الأخرى سبق الإخبار بها، وليس غائباً عني أنّهُ في كُل من الكتب يشعر المرء أن ما قيل يختص **بالمخلص**، وما هو مشترك فيها مَرَدُّهُ إتفاق الروح الواحد. فموسى وإشعياء قد حرَّرا ترنّما، وصلاة حبقوق كانت بالترنّم أيضاً، وفي كُلّ كتاب نرى نبؤات وشرائعَ وقصصاً لكون الروح نفسه حالاً على الجميع موزّعاً على كُلِّ واحد خدمة للمواهبة المعطاة له وإكمالاً لها، نبوءة كانت أو إشتراعاً أو قصةً أو ذكْراً أو موهبة ترنّم. ولكن حيث إنَّ الروح الموزّع هو واحدٌ، فلا انقسام فيه لأنّه كائن بجملته في ذاته، وأمّا بحسب الذهن فتصير الأقسام لكلِّ واحد على قدَرَ الحاجة الحاضرة.

على هذا نرى موسى، واضعَ الشريعة وقتاً ما، متنبئاً ومرتلاً، وألأنبياءَ المفروضة عليهم النبوءة نراهم أحياناً يوصون وصايا كمثل موسى: «اغتسلوا وصيروا أنقياء طاهرين»، أو يسردون قصصاً كما دانيال في خبر «سوسانة» واشعياء في خبر «ربصاكي» وحكاية «سنحاريب». الأمر نفسه نلقاه في كتاب المزامير فانه يبدأ بالترنيم ثم يشرع بالقول أنْ: «كفَّ عن الرجز وارفُض الغضب. حدْ عن الشّر واصنع الخير.أُطلب السلامةَ واسعَ فَي ابتغائها». وأحياناً أخرى يقصُّ أخباراً مثل قوله: «في خروج إسرائيلَ من مصر...» ، وأيضاً سبق فخبَّرَ بحضور المخلّص . فمثل هذه الموهبة الروحية المحكي عنها من الكُلّ هي واحدة بحسب الضرورة وإرادة الروح، ولا يُوجَد خلافٌ في كونها تكثرُ أو تقلُّ بحسب هذه الحاجة. إذ كل أحد يتمّم ما يختصُّ به من الخدمة بلا تهاونٍ وعلى التمام.

يتبع في العدد القادم

حكمة الله: ما بين نصف الخمسين وعيد المظال (١)

نصف الخمسين هو أحد أعياد السيّد، وتحتفل به الكنيسة في منتصف الفترة الفاصلة بين الفصح والعنصرة، قبل أحد السامرية الرابع بعد الفصح. قد لا يكون معروفاً في كل العالم لكنّه عيد سيّدي عظيم لأنه يتعلّق بالمسيح الرب. ونصف الخمسين لا يُعَد بين الأعياد الأثني عشر، لكننا ندرجه بين الأعياد السيّدية الكبرى لأننا ندمج إقامة لعازر بدخول أورشليم. إن تقسيم ووضع عيد نصف الخمسين بين الأعياد الأثني عشر يؤهّلنا لرؤية عمل المسيح منذ إعتماده في نهر الأردن إلى تجلّيه وآلامه. نحن نعرف أنّ الكتاب المقدس يصف ما قاله المسيح وما فعله وما عاناه من أجل خلاص الجنس البشري. إن هذا العيد يؤهّلنا لأمر أساسي فعلاً وهو رؤية هذا الوجه، أي ما قال المسيح وما فعل. بكلام آخر، إنّه يغطّي كل الأحداث الخريستولوجية من معمودية المسيح إلى تجلّيه.

مما يُظهر أهمية عيد نصف الخمسين، الذي فيه يُعيَّد للمسيح كحكمة اللّه، أنّ الكنائس التي تحمل إسم الحكمة الإلهية ليست مكرّسة على إسم أي قديس يحمل إسم «الحكمة»، بل هي مكرَّسة لحكمة اللّه التي هي المسيح. وبحسب دراسات مختلفة فإن هذه الكنائس تعيّد في نصف الخمسين. من الأمثلة النموذجية **كنيسة الحكمة الإلهيّة (أيّا صوفيّا)** في القسطنطينية التي تحمل إسم المسيح أي الحكمة الإلهية. وقد غدت هذه الكنيسة نموذجاً لكاتدرائيات أخرى أيضاً. وهكذا يظهر أن الإمبراطورية الروميّة **كانت تتمركز حول كلمة اللّه وحكمته**. فكل المسافات في الأمبراطورية الروميّة (البيزنطية) كانت تُقاس بدءً من كنيسة الحكمة الإلهية، ومن هنا نفهم دور كلمة اللّه وحكمته في حياة هذه الإمبراطورية. لهذا، إنّ فهم معنى هذا العيد السيّدي وأهميته يساعدنا على فهم عمل المسيح أيضاً.

تزامن العيد مع عيد المظال:

يتزامن عيد نصف الخمسين مع عيد المظال اليهودي، الذي هو ثالث أعياد اليهود أهميةً، بعد الفصح والخمسين.

الميتروبوليت إيروثيوس فلاخوس تعريب الأب أنطوان ملكي

في إنتصاف العيد إسق نفسي العطشى من مياه العبادة الحسنة أيها المخلص لأنك هتفت نحو الكل من كان عطشاناً فليأتِ إليَّ ويشرب فيا ينبوع الحياة أيها المسيح الإله المجد لك.

يصف المؤرّخ اليهودي يوسيفوس هذا العيد بأنّه «فائق القداسة والأهمية عند اليهود». كان هذا العيد مُخصصاً لتذكّر إقامة اليهود في البرية في طريقهم من أرض مصر إلى أرض الميعاد. وإذا كان عيد الفصح قد خُصّص لتذكار عبور البحر الأحمر، وعيد الخمسين قد خُصّص لتذكار صعود موسى إلى جبل سيناء لتسلّم ناموس اللّه، فإن عيد المظال قد خُصّص ليتذكّر اليهود كيف حفظهم اللّه عجائبياً خلال رحلتهم إلى أرض الميعاد. سُميّ عيد المظال بسبب الطريقة التي كان يُحتَفَل بها. فقد كان اليهود ينصبون الخيام في الساحات وأفنية الدور وعلى سطوح منازلهم، ويقطنون فيها خلال فترة العيد التي تدوم سبع أيام. على ما يبدو، فإن إسم الإحتفال ومكانه كانا للإعتراف بحماية اللّه ووقايته لهم بالسحابة المنيرة خلال رحلتهم في الصحراء. إذا إعتبرنا أنّ كل ظهورات اللّه في العهد القديم هي ظهورات للكلمة غير المتجسّد، وبأن **السحابة المنيرة كانت المسيح**، نفهم أن عيد المظال اليهودي يشير إلى المسيح.

لقد خُصّص عيد المظال اليهودي للّه نفسه من خلال الوصية التي أعطاها لموسى. فقد قال له:

«كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: فِي الْيَوْمِ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ هذَا الشَّهْرِ السَّابِعِ عِيدُ الْمَظَالِّ سَبْعَةَ أَيَّامٍ لِلرَّبِّ. فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ. عَمَلاً مَا مِنَ الشُّغْلِ لاَ تَعْمَلُوا. سَبْعَةَ أَيَّامٍ تُقَرِّبُونَ وَقُودًا لِلرَّبِّ. فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يَكُونُ لَكُمْ مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ تُقَرِّبُونَ وَقُودًا لِلرَّبِّ. إِنَّهُ اعْتِكَافٌ. كُلُّ عَمَلِ شُغْلٍ لاَ تَعْمَلُوا.» (لاويين٢٣: ٣٤-٣٦).

وبما أن العيد يتصادف أيضاً مع موسم جني الثمار فهم أيضاً يقدّمون الثمار كشكر للّه مع أضاحيهم. وهكذا فقد سمّوه «عيد الحصاد» و«عيد الأجتماع». وقد كانوا يقيمون المهرجانات إحتفالاً وبالتالي كان عيداً محبوباً جداً عندهم. لم تكن فكرة قضاء فترة العيد في خيام فكرتهم بل كانت وصية اللّه التي أُعطيَت أيضاً لموسى: «فِي مَظَالَّ تَسْكُنُونَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. كُلُّ الْوَطَنِيِّينَ فِي إِسْرَائِيلَ يَسْكُنُونَ فِي الْمَظَالِّ. لِكَيْ تَعْلَمَ أَجْيَالُكُمْ أَنِّي فِي مَظَالَّ أَسْكَنْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا أَخْرَجْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ.» (لاويين٢٣: ٤٢-٤٣). ما يهمّنا من

الأمور التي ذكرناها هو أنّ عملين رمزيّين كانا يجريان خلال عيد المظال اليهودي.

الأول: كانوا يقدّمون في كل صباح أضاحي بمحرَقات، وفي الوقت نفسه يحضر الكهنة ماءً من بركة سلوام، يمزجونه بالخمر ويسكبونه على المذبح حيث قُدِّمَت الأضاحي. هذا عنى سكب هبات الروح القدس، كما عنى الماء الذي شربه الإسرائيليون بشكل عجائبي خلال رحلتهم في الصحراء.

ثانياً: خلال أول أيام العيد يشعلون القناديل في فناء النساء في الهيكل عند ضحية المساء، وكانت تُرى هذه القناديل من المدينة كلها لأنها كانت ترتفع إلى خمسين ذراعاً.

حمل هذان الحدثان الرمزيّان أهمية كبرى لأنهما أشارا إلى المسيح. إلى هذا، كان المسيح مَن أعطاهم الماء خلال رحلتهما في الصحراء بحسب كلمات الرسول بولس: «وَجَمِيعَهُمْ شَرِبُوا شَرَابًا وَاحِدًا رُوحِيًّا، لأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتِهِمْ، وَالصَّخْرَةُ كَانَتِ الْمَسِيحَ.» (١كورنثوس١٠:٤). والمسيح كان السحابة المنيرة التي غطّتهم خلال النهار وأنارت في الليل، بحسب الرسول بولس: «أَنَّ آبَاءَنَا جَمِيعَهُمْ كَانُوا تَحْتَ السَّحَابَةِ، وَجَمِيعَهُمُ اجْتَازُوا فِي الْبَحْرِ، وَجَمِيعَهُمُ اعْتَمَدُوا لِمُوسَى فِي السَّحَابَةِ وَفِي الْبَحْرِ» (١كورنثوس١٠:١-٢).

المسيح معطي الناموس:

المسيح، كونه كان يهودياً ولأنّه هو مَن أعطى الناموس في العهد القديم، فقد حفظ الناموس الذي أعطاه. إذاً، لقد احتفل أيضاً بعيد المظال كما وبالفصح. هذا كان أيضاً في إطار إفراغ الذات (kenosis) الإلهي. يحفظ الإنجيلي يوحنا حادثة زيارة المسيح للهيكل وما جرى هناك بينه وبين اليهود. لا يمكننا أن نقوم بتحليل مفصّل لهذا، لذا سوف نركّز على النقاط الأكثر أهمية ومعنى. يمكن تقسيم حضور المسيح في العيد إلى أربع مراحل.

ـ أولاً، عندما تبع يسوع إخوته، أبناء يوسف أبيه بالرعاية، إلى أورشليم ولكن «لاَ ظَاهِرًا بَلْ كَأَنَّهُ فِي الْخفاء.» ، كان اليهود يبحثون عنه ربّما ليتّهموه بعدم حفظ ناموس موسى (يوحنا ٧:١٠-١٣).

ـ ثانياً، لقد جعل حضوره محسوساً في الهيكل معلماً الناس «وَلَمَّا كَانَ الْعِيدُ قَدِ انْتَصَفَ» (يوحنا٧ :١٤-٣٦). هذا يعني أنّه فيما كانوا في أورشليم خلال العيد، في منتصف الأيام السبعة، ظهر في الهيكل وعلّم الناس. إن اختياره لهذه الفترة من الزمن مُبَرّر لأنّه، من جهة، أراد أن يظهر غضب اليهود لأنّ عجائبه وتعاليمه أثارت إهتياجاً عظيماً في ما بينهم، ومن جهة أخرى، حتى يسمعوا له بانتباه، لأن عند بداية العيد كان من الطبيعي لهم أن يُحاطوا بالملهيات (القديس ثيوفيلاكتوس).

ـ ثالثاً، عندما أعلن في اليوم الأخير من العيد بأنّه سَوف يروي عطش الإنسان وحضّهم على المجيء إليه. في نهاية اليوم الأخير ذهب إلى جبل الزيتون (يوحنا٧:٣٧-٥٣).

ـ رابعاً، عندما عاد في صباح اليوم التالي إلى الهيكل. هذا سُمّيَ باليوم الثامن الذي به ينتهي عيد المظال. في ذلك اليوم أحضر الكتبة الفريسيون الزانيةَ إلى المسيح ليعرفوا ما سيكون موقفه. في ذلك اليوم علّم الشعب، في المقام الأول عن أنّه هو نور العالم وعن الحق الذي يحرر البشر (يوحنا ٨:١-٥٩).

تظهر **حقيقتان رائعتان** من خلال كل هذه المحادثات التي شارك بها المسيح في عيد المظال والتي كانت لاهوتية وزاخرة بالكشف.

أولاً، أن المسيح أعلن بشكل ثابت أنّه مساوٍ للآب في الشرف، وأنّ الآب أرسله إلى العالم، وأنّه إبن اللّه، المسيح – المسيّا الذي إنتظره اليهود. هذه حقيقة عظيمة من الإعلان. لقد شدّد بوضوح على أنّه مُرسَل من أبيه: «وَمِنْ نَفْسِي لَمْ آت، بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَقٌّ، الَّذِي أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ» (يوحنا ٧:٢٨). وفي مكان آخر قال: «أَنَا هُوَ الشَّاهِدُ لِنَفْسِي، وَيَشْهَدُ لِي الآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي» (يوحنا ٨:١٨). وبعد هذه الشهادة يظهر في كل تعليمه أنّه يقدّم المعالم التي لله، كمثل «إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ» (يوحنا٧:٣٧)، و «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الحياة» (يوحنا ٨:١٢).

ثانياً، تظهر في كل هذه المحادثة ردّات فعل اليهود على أقوال المسيح الإعلانية. إجاباتهم هي دائماً أسئلة. في بعض الأحيان يشكّكون في ما يقوله، وفي أحيان أخرى يسألون أسئلة ساخرة إستناداً إلى ناموس اللّه. لكن ردة فعلهم كانت إلى حد بعيد وكأنها لضربه وتعميته. فقد قالوا أن فيه شيطاناً: «أَلَسْنَا نَقُولُ حَسَنًا: إِنَّكَ سَامِرِيٌّ وَبِكَ شَيْطَانٌ ؟» (يوحنا ٨:٤٨).

في البداية أرادوا أن يأخذوه ولكن أحداً لم يستطع أن يلمسه لأن ساعته لم تكن قد أتت بعد (يوحنا ٧:٣٠). من ثمّ أرسل الكتبة والفريسيون الجند ليوقفوه، لكنهم لم يستطيعوا لأنّهم أُسروا بأقواله (يوحنا ٧:٤٦-٤٦). في النهاية حملوا الحجارة ليرجموه لأنّهم اعتبروا أنّه جدّف باعتباره نفسه مساوياً في الشرف لله الآب: «فَاخْتَفَى وَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ مُجْتَازًا فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى هكَذَا.» (يوحنا٨:٥٩). لا ينبغي فهم عبارة يوحنا الإنجيلي «إختفى» على أنّه التجأ إلى أحد البيوت أو الزوايا، بل أنّه بسلطانه الإلهي أخفى نفسه عن نظر الذين كانوا يضمرون شراً له، مع أنّه مضى مجتازاً في وسطهم (القديس ثيوفيلكتوس).

في هذا العرض السريع لما جرى خلال عيد المظال يمكننا أن نرى كلاً من **ألوهية المسيح وردّة فعل اليهود**، لأنهم عجزوا عن قبول وتحمّل فكرة أنّه منقذ إسرائيل المنتَظَر. هذا يُظهر أيضاً قساوة قلوبهم. علاوة على ذلك، يظهر حقيقة إستحالة أن يتعرّف الإنسان على المسيح إذا لم يكن قد تطهّر واستعدّ كما يليق، إذ من الممكن أن يتحوّل عدواً للمسيح عندما يعلن نفسه. في ما يلي سوف نجد تعليمين أساسيين للمسيح يظهران ألوهيته ويشكّلان حقيقتين خريستولوجيتين أساسيتين.

تظهر الحقيقة الأولى في إعلانه بصوت عالٍ:

«إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ. مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ. قَالَ هذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ، لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ، لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ.» (يوحنا٧:٣٧-٣٩).

لقد سبق وشدّدنا على أن هذه الحقيقة مرتبطة بالعمل الرمزي الذي كان اليهود يقومون به خلال عيد المظال، حيث يسكبون المياه على مذبح التقدمات المحترقة. كان هذا العمل تعبيراً عن الشكر والامتنان من أبناء يهود ذاك الزمن لأن اللّه أروى عطشهم في الصحراء. فقد ضرب موسى صخرةً على جبل حوريب بعصاه، بحسب وصية اللّه، ما فجّر المياه وأشبع عطش الشعب الإسرائيلي (خروج١٧:١-٧).

إن تفسير الرسول بولس لهذا الحدث خريستولوجي صرف. فهو يقول في الإشارة إلى الخلاص العجائبي لشعب إسرائيل، أنّ الإسرائيليين شربوا من الصخرة الروحية التي رافقتهم وهذه الصخرة كانت المسيح (١كورنثوس١٠:٤). إلى هذا، كما أشرنا تكراراً في هذه الدراسة، ظهر كلمة اللّه لموسى ولكل الأنبياء كغير متجسّد. **إن الكلمة غير المتجسّد، الذي أروى عطش اليهود في الصحراء وبنعمته قاموا بهذا العمل الرمزي، قد جاء إلى الهيكل وأعلن أنّه الماء الذي يُشبع عطش الإنسان الروحي.** إن هذا المجيء والإعلان عملان ذوا دلالات كثيرة. ومع هذا قد اصطدم بردة فعل أبناء «**المنقّذين**».

تشير طروبارية عيد نصف الخمسين إلى هذا الحدث وإلى شخص المسيح بكلمات مفعمة بالحيوية حيث ننشد: «في انتصاف العيد اسق نفسي العطشى من مياه العبادة الحسنة أيها المخلّص. لأنّك هتفتَ نحو الكلّ قائلاً: من كان عطشاناً فليأت إليّ ويشرب، فيا ينبوع الحياة أيها المسيح المجد لك». وفي طروبارية مميزة جداً يظهر كاتبها على أنّه متوجع ومصاب بعطش مروّع لا يُحتَمَل فيطلب الماء من المسيح الذي يمسك بوعاء العطايا: «يا مَن له كأس العطايا التي لا تفرَغ، امنحني أن أستقي ماءً لغفران الخطايا، لأني مضنوك عطشاً أيها المتحنن الشفوق وحدك» (إكسابستلاري العيد).

من ناحية ثانية، لا يعلن المسيح فقط أنه الماء والينبوع الحيّ بل، في الوقت نفسه، يشدد على أن كلّ مَن يؤمن به «تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ» (يوحنا ٧:٣٨). وكما يشرح الإنجيلي، هذا يتعلّق بعطية الروح القدس والإله الثالوثي بشكل عام، ومَن يتقبّلها يصير لاهوتيّاً إذ سوف يمارس اللاهوت بكلّ كيانه.

يفهَم مفسّرو الكتاب المقدس كلمة «**بطن**» بأنها تعني قلب الإنسان. في العهد القديم، لا تعني هذه الكلمة المعدة، بل الإنسان الداخلي المحدد بالقلب. يقول داود «أَنْ أَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إِلهِي سُرِرْتُ، وَشَرِيعَتُكَ فِي وَسَطِ أَحْشَائِي» (مزمور٤٠:٨)، أي في قلبي. على المنوال نفسه لا يتحدّث المسيح عن نهر، بل عن أنهار ماء حي، أي نعمة الروح القدس الغزيرة. وهكذا، كل نفس يدخلها الروح القدس ويتثبت فيها، تتدفق منها مياه غزيرة كما من ينبوع. الرسل الذين وُسموا بحكمة اللّه التي لا تقاوَم هم مثال على ذلك (القديس ثيوفيلكتوس).

تظهر مساواة المسيح بالشرف مع الروح القدس في كلامه، فكونه تكلّم عن المساواة بالشرف مع الآب كان عليه أن يتكلّم عن الأمر نفسه مع الروح القدس. إن عطية الروح القدس التي يعطيها المسيح للناس لكي يخمد عطشهم هي بالحقيقة إرساله الروح القدس إلى العالم وظهوره الفعلي. ليس اللاهوت دراسات وأطروحات، ولا هو معرفة عقلية، بل هو المشاركة في عطايا الروح القدس.

الحقيقة العظيمة الثانية التي يظهرها المسيح لليهود في عيد المظال هي أنّه نور العالم «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ» (يوحنا٨:١٢). يرتبط هذا الإعلان بالسحابة المنيرة التي رافقت الإسرائيليين في الصحراء، وقد كانت المسيح. بالفعل يتذكّر الإسرائيليون هذا الحدث العجائبي كل سنة في عيد المظال بإشعال النيران. الأمر المحزن هو أنّه بالرغم من أنّهم كانوا يحتفلون بهذا الحدث العجائبي فقد تفاعلوا **ضدّ** المسيح **الذي كان وما يزال السحابة المنيرة**، وحتى أنّهم حاولوا قتله. يظهر أن المعايير الروحية والأوضاع الداخلية تلعب دوراً مهماً في التعرف إلى المسيح. لا يكفي الالتقاء به، بل على الإنسان أن يتعرّف إليه ويدخل في شركة معه.

يتبع في العدد القادم

«فإذا الكل باطل وقبض الريح» (الملك سليمان - الجامعة ١:١٤)

باطل الأباطيل هي المساكن المُترَفة، والذهب الوفير، وجموع العبيد المُساقين إلى الساحة العامّة، والتعجرف والمجد الباطل، وأفكار العَظَمة والخطَبُ الرنّانة. كلّ هذه الأمور باطلة، لا لأنّها من صَنع اللّه بل من إختلاقنا نحنُ. ولِمَ تكون باطلة؟ ذلك أنّها بلا أيّة فائدة .. بل أعدّوا أنفسكم لحبّ الخيرات الآتية، دون أن تتمنّوا البقاء وَسَط الخيرات الحاضرة، ودون أن تتعلّقوا بالجسد أو أن تُشاركوا ذوي النفوس الدنيئة الكثيرين في مشاعرهم. (القديس يوحنا الذهبيّ الفم).

لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يُفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون، بل إكنزوا لكم كنوزاً في السماء ...» (متى ٦:١٩)

الشَّرف

بيفون

من مشاهير الكتّاب الفرنساويين في القرن الثامن عشر ومن كبار علماء التاريخ الطبيعي وله مؤلفات عديدة في هذا العلم وكان عضواً بالأكاديميّة الفرنسيّة ولد سَنة ١٧٠٧ وتوفي سنة ١٧٨٨ ، قال:

«لاتترك أبداً الفضيلة والشَّرف لأنه الطريق الوحيد الموصِل إلى السعادة»

«**الشرف**» كلمة إذا ما قرأتها أو سمعتها كنت بين عاملَيّ الشكّ واليقين من الإعتقاد بكينونة معناها في الوجود وإذا ما تَصورتها في مخيّلتي رَقَصَ لها فؤادي كما ترقص أمام الموسيقى وجمال الطبيعة الساكن بين الخضرة وجداول الماء.

أقول ذلك لإعتقادي بأنّ الشرف إنما هو صفة إذا ما اتصفت به نفس إنتقلت بها من درجة الحيوان إلى مرتبة الملائكة. نقلتها من الخشونة إلى الرقَّة ومن الظلم إلى العدل ومن الضعة إلى المجد الصحيح ومن السَفالة والدناءة إلى الفضيلة والكمال.

ذلك لأن النفس الجميلة بالشَّرف الصحيح لا تماري ولا تُنافق. لا تكذب ولا تشهد زوراً. لا تحسد ولا تشتهي ما لغيرها. لا تهتك ولا تفضح نفساً مثلها. لا تقتل ولا تفتك بغيرها لكي تتلذّذ هي. لا تُدَنِّس عرضَ أحد وبالجملة تترفّع عن كل نقيصة.

فهل الوجود كذلك ؟

مع كل ما تقدّم نجد أن الكلّ يدّعي لنفسه الشَّرَف فإذا ما كلّمك بادرك بكلمة الشَّرَف وإذا كان من المتحذلقين بادَرَكَ بهذه العبارة ***Parole d'honneur*** ومثله مثل الببغاء يردّد الكلمات ولا يدري لها معنى.

* تجد الرَجل الفاسق القلب العديم الإحساس المُجَرَّد من الشهامة والنخوة يلتجيء إلى المرأة الأجنبيّة «**الغير شرعيّة**» ويلتصق بها ويترك زوجته الأمينة وقرينته الشريفة المخلصة المُحبّة له تمتعص وتتلوّى على أحرّ من الجمر وهذا إذا أقسَمَ لكَ في حديثه أقسَم بالشَّرف والشَّرف يبرأ منه.

* تجد ذلك الشَّره الذي لا يعرف لنفسه قيمة. رأسه تناطح الحوائط في الطريق ، ويأبى جسده إلاّ أن يحارب الأرض دفاعاً وهجوماً ، ونفسه ألاّ أن تعارك الكلاب ظانّاً منه أنّها أشرف منه نفساً ويذهب لزوجته مهشّم الأعضاء ملوّث الملابس قبيح الوجه معقود اللسان محمولٌ على الأعناق ، وهذا لا تغرب عن شفتيه في غيبوبته كما في صحوته كلمة الشَّرَف.

* تجد ذلك الرجل الغنيّ الظالم الذي إذا ما وضعت كلّ ذهبه وفضّته في البودقة ومحصّتها بالنّار تحوّل إلى دم صاف هو دم الفقراء المظلومين ، وهذا يردّد كلمة الشَّرف أكثر من مرّةً في كلّ دقيقة.

* تجد ذلك المثري الكبير الذي يرفل بين وارف ظلال الملذات والمسرّات ويتقلّب على فرشة الوثير من الدمَقْس والحرير يرى الطفل المسكين ملفوفاً بخرقة رثّة على صدر أمّه يتحجّر من البَرد وإذا كان فيه رمقٌ من الحياة صرخَ وتلوّى من نضوب اللبن في ثديي أمِّه جوعاً وفقراً. يرى ذلك المنظر ولا يتأثّر قلبه ثم هو بين ندمائه وجلسائه يقسم ويقول «**بشرفي**».

* ترى ذلك الكاتب قبل أن يجلس أمام منضدته يقسم بالأيمان المغلظة بأن يخدم بالشَّرف ولا يقول إلاّ الحقّ مهما كلّفه ، ولكن إذا ما قبضَ على قلمه سوّد القرطاس أمامه بضروب الهتر والهذيان. تراه يكتب عن الشجاعة الأدبيّة ويحثّ على الفضيلة ، وإذا ما طُلبَ منه التصريح بالحقّ هرب وولّى هروب الجبان من ساحة القتال مُتّبعاً تيار الأهواء النفسيّة أو الأغلبيّة الظالمة.

* ترى ذلك الصحافيّ الغرّ يعلّم قُرّاء جريدته الأختلاق والكذب والمراوغة والمخاتلة ، ويُفسد أخلاقهم بتعليمه إيّاهم كل صنوف السبّ والطعن القبيح ، ويسمّ نفوسهم بكل أنواع السخائم والسخافات ، ويقتل عقولهم بجراثيم الخبث واللؤم. يرجع ويتبجّح بأنّه يخدم الشَّرف.

* وهكذا ترى المنافق والمراوغ والحاسد والنمّام واللص النظيف وإخوان هذه الشركة يردّدون هذه الكلمة على ألسنتهم في كلّ ساعة بالشَّرف ***Parole d'honneur*** .

* كل أولئك يدّعون الشَّرف ولو دخلت قلوبهم وفحصتَ بواطنهم وحلّلت أعمالهم لوجدتها بؤرة فساد وينابيع لؤم وسفالة ودناءة.

أيّ شرف عند أولئك الأرديا النفوس وكلّهم نقائص ومخازي يهرب من أمامها الشَّرف ويذوب كما يذوب الشمع من أمام النّار ؟

ألعلّهم يعدّون العيوب والمخازي شرفاً وما علموا أنّه لو امتزج الزيت بالماء أو إتّحدت النّار مع الماء ما امتزج ولا اتّحد الشَّرف بالنقائص.

* يرى الكثيرون أن الشَّرف كلّ الشَّرف في حيازة المال أو في القوّة الباطلة وحمل السيوف والأوسمة المرصّعة على الصدور ، والزلفى من العظماء والأمراء. هذا ما يراه البعض في الشَّرف أو ما دلتهم عليه قرائن الأحوال في وسط الجمعيّة الإنسانيّة (المجتمع) وهم عن الحقيقة بعيدون إذ الشَّرَف الصحيح هو شرف النفس أي نزاهتها ونقاوتها وترفّعها عن كل شائبة ومشين وكل ما يحطّ من كرامتها وكرامة نفس سواها.

* ترى الرجُل فاسقاً قاتلاً. مستبداً غشوما. ولا فضيلة تُذكر عنه ومع ذلك يسمّونه من الأشراف !!! ويثقلون صدره بالنياشين والأوسمة.

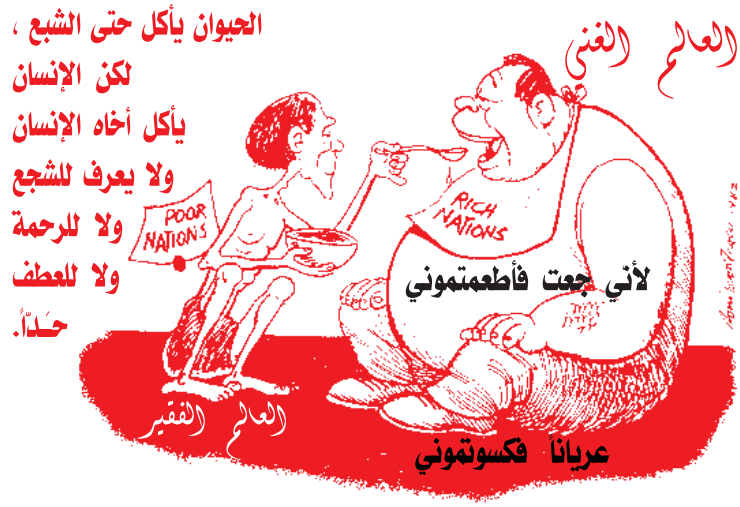

لماذا وكيف ؟

لأنّه ذو بأس. ولأنّ جسم الإجتماع هذا الذي **نسميه** (المجتمع) مصابٌ كلّه بالسقم والمرض الخبيث.

فلو أن جسم الإجتماع (المجتمع) بريء من السقم لما عدَّ رجلاً مثل هذا في صفوف الشرفاء ، ومن الأسف الشديد أنّ الرجل الشّريف النفس قلّما يُلْتَفَت إليه وذلك مما يؤيّد أن البيئة مريضة وسقيمة.

* للشَّرف لذّة هي فوق كلّ لذة ، وسعادة تفوق كل سعادة. لذّة لا تُقَدَّر بجانبها **لذّة المال ولا لذّة المركز** ، وذلك أن صاحب الشَّرف يأكل ويشرب بهناء ، وينام بهدوء ، ويروح ويغدوا مستريحاً.

قد يرى البعض في ذلك شيئاً من الغرابة ، والحقيقة أنّ لا غرابة في ذلك قطّ.

دعَك الآن من قولهم الذكرى الخالدة والأثر الجميل. فإنّ صاحب الشَّرَف مبدأه وسجيّته أن يُرضي الحقّ ولا يُغضب الفضيلة ، لذلك يكون دائماً هادىء البال مطمئن الخاطر لا يُزعج ضَميره مُزعج ، ولا يُقلق راحته الداخليّة مُقلق ، فيعيش سعيداً ، فهل هناك لذّة أشَهى من لذّة راحة الضمير وسعادة أهنأ من سعادة ناجمة من إرضاء الشَّرَف ؟

فهل تنصلح أحوال المجتمع الإنسانيّة ويشعر في داخليّته شعوراً نقيّاً ويفضّل لذّة الشَّرف على لذّة الذهب والفضّة ولذّة النياشين والأوسمة ولذّة العظمة والجبروت والمجد البالطل؟ وهل يَعرف كلٌ منّا أنّ مَن يُلوّث شرف أخيه كأنّه خطَف منه روحه ودلَّ بعمله أنّه لئيمٌ سافل.

إنّ ذلك اليوم الذي يفضّل فيه المجتمع لذّة الشَّرف على غيرها هو، اليوم الذي يعيش فيه الذئب مع الخروف إذ يكون يوم سلام ووئام.

إنّ ذلك اليوم قد يكون قريباً إذا ما أمات الوالدون من قلوب أطفالهم **بذور الطمع والجشع وحبّ الأثرة** ، وقتلوا **جراثيم الخبث واللؤم والدناءة والسفالة** من صدورهم وزرعوا مكانها **بذور الدِّعة والفضيلة ولقّحوها بلقاح الشَّرف الصحيح وهو النزاهة والترفّع عن الدنايا**.

فهل نحنُ فاعلون كذلك ؟

وهل يقول كلٌّ منّا حياتي في شرفي ومن يسلب مني الشّرف فقد سَلَبني الحياة قبله؟ ومن أضاعه على نفسه فقد أضاع كلّ شيء.

خطرات أفكار

✚ لا تَخصب أرضك ما لم تَروِها بعرق جبينك.

✚ جمال العالمين أشعة من بهاء اللّه.

✚ ماذا يفيدك أن تبني للّه بيتاً في كل أرض وليس له بيت في قلبك.

✚ لا مؤدّي إلى عرش السيادة في السماء إلاّ طريق العبوديّة للّه على هذه الأرض.

✚ الشهوات كالأيام أوائلها أضواء وآخرها ظلمات.

✚ أجْبَن الخَلق مَن خافَ من الحقّ وأضعفهم مَن غلبته الشهوة.

✚ لا تَعْظُم قيمة التقدمات التي تُقَدَّم للّه بوفرتها بل بوفرة المحبّة التي تُقَدَّم بها.

✚ إن لم تمحصك نار البلايا فلا تطمع في أن تُطَهرك مياه النعمة.

✚ الطيور التي تبلغ أعالي الجوّ تتخذ أدنى الأوكار ، والتي تُطرب تُغَرِّد في الظلال ذات السكون كما نشاهد من البلبل والهزاز فليتأمّل المتكبّرون.

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٢٩)

تتمة من العدد السابق

حياة الآباء وخواص تلك الفترة :

الضربات العشر والصراع القديم .

«أطلق شعبي ليُعَيِّدوا لي في البريّة ..» (خروج٥:١).

لم تمنع صعوبة الموقف خطورة الطلب أن يقف موسى أمام فرعون وإن كان سهلاً عليه أن يدخل القصر فهو يعرف المراسيم والحقوق ، والمعروف عن مصر القديمة أن فرعون كان يسمح للناس أن يقدّموا إلتماسهم وشكواهم إليه ، ولمّا كان موسى قد تربّى في البلاط فكان له إمتياز خاص في إلتفات المَلك لشكواه ، ويبدأ موسى صراعاً ضارياً مع فرعون يبدأ بأن يرفع إلتماساً يطلب حقّ شعبه ، ولكن النتيجة تأتي عكسيّة ، إذ تصدر الأوامر أن يُثَقَّل على الشعب ، ويُزاد النير ، لكن موسى في شجاعة وجرأة صَمَدَ أمام عناد فرعون وتوبيخات إخوته ، ووقعت سلسلة من الضَربات المخيفة قبل أن يسمح فرعون للإسرائيليين بالخروج ، فكان يُراوغ المرّة بعد الأخرى ويرفض إطلاق الشعب ، وإن كانت الضربات الثلاث الأولى قد عمّت على بني إسرائيل كما حلّت بالمصريين ، ولكن حينما تقسّى قلب فرعون ، كانت رسالة اللّه في الضربة "**الرابعة**" « ولكن أُميِّز في ذلك اليوم أرض جاسان حيثُ شعبي مقيمٌ حتى لا يكونُ هناكَ ذُبّانٌ. لكي تعلمَ أنّي أنا الربُّ في الأرض» (خروج ٨:٢٢).

وانضمّ إلى فرعون في الصراع **السَحَرَة والعرّافون والكهنة** ، وفي ظهورهم في هذه المواجهة يعبّر عن مدى تأثير نفوذهم في القصر ، وعلى فرعون نفسه ، وهو ما تسجّله الآثار ، ولم تكن طبيعة الصراع نزاعاً بين شعب مستعبد وظالميه بقدر ما كانت بين الإله الواحد وعبادة الأوثان المتأصّلة في مصر «...وأصنع أحكاماً بكل آلهة المصريين، أنا الرب» (خر١٢:١٢).

لقد إستغرقت الضربات عشرة أشهر ، وكانت ضربات عظيمة وهائلة ليس فقط لأنّ المصريين تألّموا وصرخوا من شدّتها ، لكن أيضاً لأنّها كانت ضربات موجّهة لآلهة فرعون وعبادة المصريين ، فلم تكن ضربات عشوائيّة لكنها إستهدفت معبودات المصريين وأصنامهم (خروج١٢:٢٠). ففي الضربة الأولى تحويل النهر إلى دم ، كانت ضد النيل المعبود الأعظم **(حابى)** أصل الخير ومصدر الرخاء ، لقد كان له إحتفال خاص في أرض مصر كلّها تُنشَد فيه التسابيح تلك التي سجّلوها في برديّات محفوظة إلى الآن. وتُقَدَّم إليه القرابين وفي هذه الضربة سَقط إله المصريين ومعه مجموعة آلهة أخرى كانت مرتبطة به هي : **(ست وخنوم وانكت)** ، وفي ضربة الضفادع سقطت الإلهة **(هكت)** الضفدعة رمز الإخصاب زوجة **(خنوم)** العظيم ، وكانت ضربة شديدة على المصريين لأنّه كان مُحَرّماً عليهم إبادتها، لذلك صرخ فرعون إلى موسى لكي يُخرج الضفادع (خروج٨:١) ، وفي الضربة التالية سقطَ **الجُعل** المصري المقدّس ذلك المعبود المصري المتميّز والذي كانوا يصورونه بذبابة ذات رأس كبير ، أما ضربة البعوض فقد كانت كارثةعلى المصريين ، إذ أن الوباء الكريه لم يَصر فقط على أجسام الكهنة ، بل أيضاً صارَ على أجسام البهائم تلك المعبودات المقدّسة ، فقد كانت كارثة على **(حتور)** البقرة المقدّسة وخزياً شديداً للإله **(أبيس)** الذي له شكل العجل ذلك المعبود الموقّر. وفي الضربة السادسة سقَطت آلهة الطب والشفاء، فالدمامل أصابت جميع المصريين، وضربة البَرَد كانت لطمة على وجه **(رشبو)**. إله العواصف والرياح. فالبَرَد كان عظيماً ، وكانت خيبة عظيمة للإله **(ست)** المسبّبة لخصوبة الأرض ووفرة المحاصيل إذ كانت ضربة الجراد عظيمة وشديدة. وفي ضربة الظلام كانت الضربة مخزية للإله **(نوت)** إله السماء الذي رتّب الكواكب في أبراجها ، ونظّم دورانها بين الليل والنهار ، وسقَطت معه آلهة الشمس العظيمة بأنواعها **(رع وأتون وأتوم وحورس)** فلم يعُد لها عمل في الظلام كما أنّ الضوء الصناعي باستخدام النار لم تكن لها فائدة إذ كان الظلام دامساً وكثيفاً ، فما أكبر يأس الإله **(سخمت)** إلهة النار والضوء المقدّس ، إذ صارَ الظلام على كلّ أرض مصرَ ، ثلاثة أيام متصلة، وعَجزَ الكهنة عن إتمام واجباتهم الدينيّة اليوميّة ، ولأوّل مرّة لم تُنشَدَ الموسيقى ولم تُرنّم الإبتهالات أمام تمثال **(ممنون)** والتي كانت تُعزَف مع شروق أشعة الشمس في كل صباح.

وليس من شكّ أن فرعون وعظماءه قد أدركوا منذ الضربة الأولى بأنّهم أمام قوّة إله أعظم من آلهتهم، ولكن قلب فرعون كان يزداد قُسوة وعناداً ، فكانت الضربة الأخيرة التي حسمت الصراع وهي موت أبكار المصريين وكانت الضربة شاملة وكانت مباشرة ضدّ عظيم الآلهة **(رع)** الذي كان يمنح القوّة لكل من يعبده، وكان يَهب الحياة لفرعون ، لقد سُحقَ **(رع)** ولم يعُد له قوّة وسقطت معه الآلهة واهبة الحياة **(إيزيس وأوزوريس)** أمام إله إسرائيل ، وبذلك تساقطت آلهة فرعون الواحد تلو الآخر. تلك التي قال عنها بولس الرسول: «آلهتهم أصنام» (رو٩:٢٠)، (مز ٩٥:٥) ، وبسبب توالي الضَربات وتحت شدّة هذه الضربة الأخيرة سمح فرعون أن يُطلق الشعب. «وكان عند نهاية أربع مئة وثلاثين سنة عند ذلك اليوم بعينه أن جميع أجناد الرب خرجت من أرض مصر» (خروج ١٢٤١:).

آلهة فرعون

يتبع

الإنجيل المقدّس

يسوع المسيح هو ألف الكتاب المقدّس وياؤه.
ذروة الإنجيل وعقيدته.
هذه هي رسالة الآباء القائمة
إلى كلّ الكنيسة
حول سرّ التدبير الإلهيّ.